الأستشراق الألماني في القرنين التاسع عشر والعشرون

كارل بروكلمان أنموذجاً

بحث تقدت به

الطالبة / مروة احمد سامي

المرحلة الرابعة – شعبة (ج)

بإشراف

د. حيدر قاسم مَطَر التميمي

المقدمة:

يعد موضوع الاستشراق موضوعا واسعا ومتشعبا يتناول كل ما له علاقة بالشرق من حيث اللغة والأدب والتاريخ والدين والحضارة وما إلى ذلك، ولم تكن ألمانيا الدولة الأوروبية الوحيدة التي اهتمت بالدراسات العربية والإسلامية إذ سبقتها دول أوروبية أخرى مثل فرنسا وانكلترا وهولندا، لكن الأستشراق الألماني امتاز بالموضوعية والعمق وساهم مستشرقوه أكثر من سواهم بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية وخاصة كتب المراجع والأصول المهمة.

يسلط بحثي الموسوم الضوء على موضوع الأستشراق الألماني في القرنين التاسع عشر والعشرون الميلادي من خلال ثلاث محاور رئيسة، اهتم الأول منها بمفهوم ودوافع الأستشراق بصورة عامة والثاني نشأة الأستشراق الألماني وخصائصه، في حين عرض المحور الثالث جهود بعض المستشرقين الألمان في الدراسات العربية ومنهم على سبيل المثال لا الحصر (رايسكة، شاخت، فيدمان، كارل بروكلمان).

مفهوم الأستشراق بصورة عامة:

يُعرف الأستشراق بأنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالِم غربي يهتم بدراسة الشرق أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه[١] وقد تعددت وتنوعت تعاريفه، اذ عرفه شكري النجار: ((بأنه يؤخذ بعدة معان متداخلة ومختلفة، ولعل اهم معنى للكلمة هو المعنى الاكاديمي، أذ تطلق كلمة مستشرق بشيء من التجاوز على كل من يتخصص في احد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو بعيد ويتابع؛ ثمة مفهوم اخر للاستشراق اعم وهو اعتبار الاستشراق أسلوبا للتفكير يرتكز على التمييز الأنساني والمعرفي بين الشرق والغرب))[٢]، في حين يذكر رضوان السيد، ((انه لم يعد هناك علم واحد اسمه الأستشراق بل هناك عوالم متباينة يحمل كل واحد منها عنوان المجال الذي يهتم به، فاذا كانت مفاهيم الشرق والعالم الثالث والشرق الأوسط متباينة وغير علمية فان مفهوم الأستشراق صار اليوم كذلك))[٣].

---

(١) محمود حمدي زقزوق، الأستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (قطر، ١٩٨٣م)، ص١٨.

(٢) الفكر العربي، "مجلة"، العدد ٣١، ١٩٨٣، ص ص٥٩-٦٠.

(٣) المرجع نفسه، العدد٣٢، ١٩٨٣، ص١٤٥.

ويقول المستشرق الالماني "بارت" ان اسم الشرق قد تعرض للتغيير في معناه، فالشرق بالقياس لنا نحن الالمان يعني العالم الإسلامي؛العالم القابع خلف الستار الحديدي كما كان يسمى كذلك في الماضي[٤]، غير ان المستشرق المعاصر المثير للجدل "برنارد لويس" فان له رؤية مختلفة في تحديده لمفهومه اذ يرى ان الأستشراق مدرسة من مدارس الرسم أي ان مجموعة من الفنانين ومعظمهم من اوروبا الغربية، زاروا الشرق الاوسط وشمال افريقيا ورسموا ما تخيلوه بطريقة رومانسية، والمفهوم الثاني والذي لاعلاقة له بالمفهوم الأول وهو المفهوم الشائع والذي ينص على انه فرع من فروع الأكاديمية التي بدأت مع عصر النهضة، فالمدرسة الهيلنية تدرس الحضارة الإغريقية، واللاتينية تدرس التاريخ واللغة العبرية وان المدرسة الهيلينية تسمى بالدراسات الكلاسيكية والمدرسة العبرية بالدراسات الأستشراقية، وفيما بعد بدأ الالتفات الى لغات اخرى[٥].

وفي هذا الصدد فأن كلمة مستشرق قد ظهرت لأول مرة في انكلترا عام ١٧٧٩ وفي فرنسا عام ١٧٨٠، ثم أدرجت الكلمة في قاموس المجمع العلمي الفرنسي عام ١٨٣٨[٦]، كما ان هذا المصطلح قد أصبح فضفاضا نوعا ما بعد دخول اوروبا في العصر الحديث، اثر الكشوف الجغرافية والثورة الصناعية، اذ استولى الأوروبيون مدفوعين بالنزعة الاستعمارية على بلدان ماوراء البلدان العربية والإسلامية في كلا من أفريقيا واسيا وادخلوا دراسات لغات وحضارات كثيرة شملت الهند والصين واليابان واندونيسيا. . . الخ وتوسع مفهوم الأستشراق بالتالي ليشمل لغات هذه البلدان وحضارتها، مما دعا الى نشأة مصطلح أضيق وأدق ضمن حركة الأستشراق الكبرى وهو مصطلح "الاستعراب" أي من يهتم بدراسة اللسان العربي وحضارة العرب ويطلق على جملة الدراسات التي يقوم بها جمهور الباحثين من المستعربين اسم (الدراسات العربية)[٧].

---

(٤) نايف بن ثنيان بن محمد ال سعود، المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، (الرياض، ١٤١٤هـ)، ص١٧.

(٥) برنارد لويس، الإسلام والغرب، (بيروت، ١٩٩٤)، ص٤١.

(٦) السيد احمد فرج، الأستشراق: الذرائع والنشأة والمحتوى، (الرياض، ١٩٩٢)، ص١٨.

(٧) محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، العدد١٦٧، (الكويت، ١٩٩٢)، ص٢٦.

وعلى الرغم من التباين في مفهومه الا ان المدلول الشامل لهذا المفهوم هو دراسة الشرق ومعرفته وفهمه وهو الجامع المشترك في كل الأراء التي ناقشت الأستشراق وتتبعت معطياته ومجالاته[٨].

دوافع وأهداف الأستشراق بصورة عامة:

كثيرا ما تلتقي الدوافع والأهداف في مسعى ممتد فالدوافع الحقيقية هي التي تحدد الهدف الذي يسعى اليه الساعون في مضامين شتى، وقد تلخصت دوافع الأستشراق بما يلي[٩]:

١- الدافع الديني: الذي يعد من اهم الدوافع لا بل السبب الرئيسي لنشاته، وقد صاحبه طوال مراحل تاريخه ولم يستطع ان يتخلص منه، وكان يسير معه منذ البدآية في ثلاث اتجاهات متوازية تعمل جنبا الى جنب وتتمثل هذه الأتجاهات بما يلي:

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وابرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والأنتقاص من قيمته والحط من قدره.
- حمآية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على مافيه من نقائض مزعومة، وتحذيرهم من خطر الأستسلام لهذا الدين.
- التبشير وتنصير المسلمين.

ويمكن القول ان الهدف الديني الذي لم يعد ظاهرا الأن في الكثير من الكتابات الأستشراقية قد اختفى تماما، الا اننا في الوقت نفسه نوضح انه ليس حكما عاما على جميع المستشرقين، فهناك فريقا من المستشرقين حاول جاهدا الألتزام بالحياد والموضوعية وانكر على الكثير من زملائه نزواتهم التي انحرفت بهم عن النزاهة العلمية[١٠].

٢- الدافع العلمي: الذي ساهم في اقبال بعض المستشرقين الغربيين للأهتمام بدراسة العلوم العربية والإسلامية يدفعهم في ذلك المعرفة الخالصة للشرق، ولاسيما التاريخ العربي الإسلامي للأطلاع على ثقافة هذه الأمة وحضارتها وقد اتخذوا من الأستشراق علما قائما بذاته

---

(٨) علي بن ابراهيم النملة، الأستشراق في الأدبيات العربية، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٢)، ص١٨.

(٩) محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص ص٧١-٧٢.

(١٠) المرجع نفسه، ص٧٣.

وعانوا بسببه ما عانوا من متاعب، والبعض من الباحثين يفرق في اعمال المستشرقين بين جانبين:

الأول: جانب الأنجازات العلمية في الحقول العلمية البحتة من مخطوطات ووثائق ومعاجم وفهارس وتحقيق نصوص وغيرها.

الثاني: الجانب الآيدلوجي في طروحاتهم ومنهجهم البحثي عند تناول القضايا المتعلقة بالعقيدة أو القرآن الكريم والسنة النبوية ونظرتهم الى الدين منظومة الإسلام عموما، فهذه يمكن بسهولة تبيان جوانبها السلبية والتعسفية الواضحة والغامضة، فضلا عن ان المستشرق ينطلق من أرضية ثقافته الخاصة بأسقاطات غير عادلة عند التناول والتقييم ومن منطلقات الفكر الأوربي نفسه في مراحل تفوقه الى القرن العشرين، وهي مرحلة البرجوازية فالأمبريالية وهكذا يبدو التقييم يعتمد على الزاوية التي ينطلق منها المقيم لأعمال الأستشراق والمستشرقين(١١).

وهذه الناحية الإيجابية لايمكن نكرانها من خلال الجهود والأعمال القيمة التي قام بها المستشرقون حيث استخرجوها وبحثوها وتابعوها متابعة علمية منهجية قويمة، وهي جهود تستحق الأشادة بها علميا ومن هذه الجهود كراسي اللغات الشرقية والمخطوطات بشتى اللغات ودراسة التراث والتأليف فيه والمجموعات(١٢).

٣- الدافع الأستعماري: والذي كان له الدور الكبير في تحديد طبيعة النظرة الأوربية الى الشرق وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر وقد استفاد الأستعمار من التراث الأستشراقي هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فقد كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تعزيز مواقف الأستشراق وفي مضمونه وقد تمكن الأستعمار ان يجند طائفة من المستشرقين لخدمة اغراضه وتحقيق اهدافه في بلاد المسلمين وهكذا نشأت رابطة رسمية وثيقة بين الأستعمار والأستشراق انساق اليها عددا من المستشرقين من الذين ارتضوا ان يكون عملهم وسيلة لأذلال المسلمين واضعاف شأن الإسلام وقيمته، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني"استيفان فيلد"(١٣) (... والأقبح من ذلك انه توجد جماعة يسمون انفسهم مستشرقين

---

(١١) عبد الله علي العليان، الأستشراق بين الأنصاف والأجحاف، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ص٢٨-٣٠.

(١٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

(١٣) محسن الموسوي، الأستشراق في الفكر العربي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣)، ص ص٢٧-٣٠؛ محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق، ص ص٤٣-٤٤.

سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لا بد من ان يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة).

نشأة الأستشراق الالماني

البدايات والتكوين:

تعود بدآيات الأستشراق الألماني الى القرن الثاني عشر حين تمت ترجمة القرآن الكريم لأول مرة الى اللغة اللاتينية بتوجيه من بطرس المبجل "ريس ديركلوني"، وفي القرن التالي قام "رايموند لول" المولود بجزيرة مايورقة الأسبانية بتنفيذ قرارات كنسية بأنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية، وقد عد البعض هذه الجهود وماشابهها بانها ليست استشراقا لأن مقاصدها لم تكن معرفية بل تبشيرية، وقد حاول كنسيون متنورين مابين القرنين الثاني عشر والرابع عشر تجاوز المرحلة الأسطورية في مكافحة الإسلام عن طريق الترجمة البدائية والمشوهة وهي كانت أدوات افعل من الكفاح العسكري والسياسي والثقافي بين الدينين والثقافتين(١٤).

ويمكن النظر الى هذا الأستشراق على انه عامل مهم ومؤثر في منحى التأثر والتأثير في العلاقة بين العرب والألمان، اذ تأثر اولا ثم آثر تاليا ولا يزال يتأثر ويؤثر رغم ما قد يقال انه قد اصبح شيئا من الماضي بفعل قلة الترجمات عن الألمانية، والتوجه الى الأستشراق الفرنسي في مجال الدراسات الجديدة عن كلاسيكيات الإسلام(١٥).

وهنالك وجهة نظر اخرى تذكر ان البدآيات الحقيقية لتأثر الألمان ثقافيا بالعرب يرجع الى الترجمة المباشرة لمعاني القرآن الكريم الى اللغة الألمانية والتي تمت سنة ١٦٩٤ عندما اصدر قسيس من مدينة هامبورغ يدعى"هينكلمان" الطبعة الأولى فأيقظ بعمله هذا اهتمام الغرب بالإسلام والعرب وما قبل ذلك من اتصال بين الشرق والغرب، لاسيما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، وكان طابع الأتصال هذا قد سيطرت عليه الحروب الصليبية والتي

---

(١٤) الشرق الأوسط، "جريدة"، العدد ٩٤٥٨، ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٤.

(١٥) رضوان السيد، تأثيرات المستشرقين الألمان في البحوث الأكاديمية العربية، مجلة التسامح، العدد الثامن، ٢٠٠٤، ص ص٢٥٤-٢٥٢.

انطلقت من المانيا نفسها، وكان يخضع لرقابة شديدة من الكنيسة ولم تظهر ابحاث الأستشراق الحرة الا من خلال التغيرات الفكرية التي رافقت القرنين الخامس عشر والسادس عشر[١٦].

وفي هذا الصدد يمكن القول انه بوصول مخطوطات "بوستل"[١٧] الى أمير منطقة بفالز، تكون بدآيات الدراسات العربية في المانيا قد بلغت اولى محطاتها، وفي سنة ١٥٦٩ م قدم "مانويل تريميلوس" وهو يهودي اعتنق الكاثوليكية وارتد عنها الى البروتستانتية بحثا في قواعد اللغة الكلدانية والسوريانية، كما قدم في السنة نفسها الترجمة السوريانية للعهد الجديد (الأنجيل) في صورة مطابقة للمخطوطات التي احضرها "بوستل" من الشرق والى جانبها الترجمة اللاتينية[١٨].

وخلال القرن السابع عشر كان الأهتمام بالعربية في المانيا اقل بكثير عما كان عليه في هولندا وايطاليا وفرنسا وانكلترا، واقتصر الأهتمام به على رجال اللاهوت في الغالب رغم ندرة ما توافر لديهم من مصادر وكان يتوجب على الراغبين بالخوض في هذا المجال شد الرحال الى الخارج كما فعل "يوخان إليشمان" الذي اقام في هولندا بوصفه طبيبا وقد عثر في مكتبة لايدن على مخطوط لابن مسكويه بترجمة عربية وهو عبارة عن صورة مجازية لحياة الانسان وضعها "سيبس" تلميذ سقراط، وقد كان نصها الأصلي اليوناني يشكل مادة محببة من مواد المطالعة المدرسية وكذلك الوصايا الذهبية الشعرية التي يزعم انها لفيثاغورس، وأيضا رجل اللاهوت "يوهان هانيريش هوتنجر" (١٦٢٠-١٦٦٧) من مدينة زيورخ السويسرية والذي درس في جامعة هايدلبرج ارتحل هو الأخر إلى مدينة لايدن الهولندية وبذل جهدا كبيرا من اجل تعلم الفهرسة العربية وتاريخ الأدب وقد تضمن كشافه فصلا طويلا عن المكتبة العربية[١٩].

---

(١٦) مصطفى ماهر، حوار بين الألمان والعرب، الأسبوع الثقافي العربي في تونس لعام ١٩٧٤، (الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦)، ص٣٠٦.

(١٧) ولد وليم بوستل في وسط متواضع عام ١٥١٠ وانكب على دراسة باريس اللغتين اليونانية والعبرية بجدية، وتعلم ايضا اللغة الأيطالية والأسبانية والبرتغالية، وقد لفتت موهبته هذه على تعلم اللغات انتباه اساتذته وبتوجيه من الأخت "مارغريت فونا نارا" العرابة الروحية للملك فرانسوا الأول اذن له بدخول البلاط وارسله الى الشرق، وللمزيد ينظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الأستشراق والدراسات العربية الإسلامية في اوروبا حتى بدآية القرن العشرين، تعريب: عمر لطفي، ط١، (دمشق، ١٩٩٦)، ص٤٧.

(١٨) يوهان فوك، المرجع نفسه، ٤٥.

(١٩) المرجع نفسه، ص ص٩٥-٩٦.

وشهد القرن الثامن عشر في المانيا ظهور تيارين ثقافيين ومستقلين ومتواصلين في الوقت نفسه هما؛ تيار الرومانسية، وتيار التاريخانية الأكاديمية[٢٠]، وهو تحول كبير في تاريخ الأستشراق الألماني على وجه الخصوص ظهور الرومانسية التي ولدت الميل المفعم الى كل ماهو غريب وعجيب، فظهرت العاصفة والجموح للتوصل الى معنى الأبداع والروعة والخيال السحري في هذا الفضاء الفكري الجديد ظهرت كتابات "هيردر" الفلسفية (١٧٧٦-١٨٤١) عن الآداب الشرقية واسهامات العرب المسلمين في الفلسفة والعلوم التجريبية والثقافية اذ ذكر ((كان العرب اساتذة اوروبا))[٢١]، وكذلك كتب الشاعر الألماني الكبير "غوته" في العام ١٧٧٤ قصيدته الرائعة (نشيد محمد) وكذلك الديوان العربي الشرقي الذي قال فيه: ((من يعرف نفسه والاخر يعرف هنا ايضا ان الشرق والغرب لايمكن ان يفترقا))، ولاشك ان رؤية غوته للعلاقة بين الشرق والغرب تتناقض كليا مع رؤية الكاتب الأنكليزي "غبلنكز" المعادية في مقولته المعروفة ((الشرق والغرب لايمكن ان يلتقيا))[٢٢].

وعلى مشارف القرن التاسع عشر تبلورت المعالم الأولى للأستشراق الألماني بمعناه العلمي، اذ قام المستشرق الهولندي"توماس اربينوس" بنشر كتاب عن النحو العربي باللغة اللاتينية، ظل معتمدا حوالي قرنين حتى قيام الألماني "ميخائيليس" عام ١٧٩١ بترجمته الى اللغة الألمانية والفيلوجيا كما صار معروفا منذ حوالي قرن هي الركن الأول للتاريخانية الالمانية التي بلغت ذروة ازدهارها لدى المؤرخين الكبار امثال رانكه ومومسن اواسط القرن التاسع عشر، فاذا كانت الرومانطيقية قد اخرجت النظرة الى الشرق الإسلامي من دائرة الجدالات اللاهوتية فأن التاريخانية التي اعتبرت معرفة فقه اللغات السامية وغير السامية الأساس الموضوعي للمعرفة التاريخية لأمة من الأمم، هي السقف المباشر لعلم التاريخ الأوروبي الحديث، وللأستشراق الذي ناضل طويلا لكي يكون جزءا من ذلك التقليد التاريخي الإنساني[٢٣]، ولكي لا نبقى في نطاق التأملات النظرية نبدأ هنا بإعطاء صورة عن الوقائع والمساعي المبكرة لتكوين هذا المجال الذي عرف في ما بعد بالأستشراق والطريف في هذا السياق ان الجذر الفيولوجي لعمل الشرق هذا ما بزغت غصونه في ألمانيا مهد التاريخية، بل في فرنسا على يد رجل واحد

---

(٢٠) رضوان السيد، المرجع السابق، ص٢٥.

(٢١) إبراهيم الحيدري، صورة الشرق ي عيون الغرب، (بيروت، ١٩٩٦)، ص ص٢٧-٢٩.

(٢٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٢٣) رضوان السيد، مجلة، العدد ٩٤٥٨، في ٢٠٠٤.

سعى اليه كل المستشرقين الألمان الأوائل في الربع الأول من القرن التاسع عشر وهو "سلفستر دي ساسى" (١٧٥٨-١٨٣٨) الذي تولى إدارة مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا والتي تأسست لمنافسة المؤسسات الجامعية البريطانية العريقة في عمليات الصراع على الشرق من خلال إنتاج خبراء بلغاته وشعوبه وتاريخه وجغرافيته، ولم يعتمد "دي ساسى" على كتاب النحو العربي للهولندي "اربيونوس" بل وضع مؤلفا جديدا بنفسه وبالفرنسية وليس اللاتينية بعنوان النحو العربي، ثم كتب كتابا مدرسيا بعنوان منتخبات من ادب العرب تضمن نصوصا ادبية وتاريخية استخرجها من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس وبقي كتاباه هذان معتمدان لحوالي نصف قرن حتى حلت محلها الكتب التي الفها تلامذته الألمان، وقصد باريس ودي ساسى لدراسة فقه اللغة والأدب العربي عنده كلا من فرايتاغ (١٧٨٨-١٨٦١)، وفلايشر (١٨٠١-١٨٨٨)، وغوستاف فيلغل (١٨٠٢-١٨٧٠)، فوضع فرايتاغ المعجم العربي اللاتيني الذي لاما زال مستخدما حتى اليوم، في حين قام "فليغل" بنشر طبعة من القرآن الكريم واخرى من صحيح البخارى، وكتاب الفهرست لأبن النديم وكتاب كشف الظنون لحاجي خليفه[٢٤].

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ارتبطت نشاطات المستشرقين بالتطورات الأقتصادية والسياسية الجديدة عندما بدأت الرأسمالية تنمو نموا حثيثا وتحول نظام المنافسة الحرة الى نظام الأحتكار وتقسيم مناطق العالم الى مناطق نفوذ مباشرة وغير مباشرة، واستلزم هذا التوجه السيطرة على مصادر الطاقة والمواقع الستراتيجية مثلما استلزم الأمر التأثير في الثقافة عن طريق تطويعها وتوجيهها لأرتباطها بالتاريخ والدين والحضارة من اجل التحكم في بعض اتجاهاتها المستقبلية عن طريق مؤسسات البحث العلمي والتربوي وغيرها[٢٥].

ومنذ مطلع القرن العشرين حدث تحول مهم في سياسية الدول الأستعمارية بعد امتداد النفوذ الأنكليزي والفرنسي والصراع على تقسيم الدولة العثمانية، فبدأت المانيا في محاولتها لمد نفوذها الى الشرق عن طريق انشاء سكة حديد برلين بغداد وتوسيع نشاطها التجاري في العالم العربي وذلك بتأسيس شركة هامبورغ للملاحة في منطقة الخليج العربي عام ١٩٠٥ وبناء قاعدة تموين لها في جزيرة ابو موسى، وقد اثار هذا النشاط حفيظة انكلترا التي بدأت تقف ضد توسيع نفوذ المانيا وايقاف منافستها لها الأمر الذي دفع الأخيرة الى حصر نشاطها في العالم العربي في نطاق معرفي واستشراقي واكاديمي ضيق الأفق، ومع سقوط الدولة العثمانية وتأسيس

---

(٢٤) المرجع نفسه.

(٢٥) ابراهيم الحيدري، المرجع السابق، ص٧٠.

الجامعة الإسلامية[٢٦] وبزوغ الحركات الدينية والقومية ظهر عددا من المستشرقين الالمان المنفتحين على معالجة المشاكل المعاصرة في الشرق الأوسط، فمزجوا بين الأستشراق والدبلوماسية وكان من ابرزهم؛ ماكس فون اوبنهايم، وكارل هافيرش وغيرهم[٢٧].

اصيب الأستشراق الألماني بأنتكاسة كبيرة عند مجيء النازية الى الحكم فترك اغلب المستشرقين البلاد وذهب القسم الأكبر منهم الى الجامعات الأميركية، مما اعطى الدراسات العربية والإسلامية فيها دفعا قويا، وجاءت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) ليشهد الأستشراق الألماني ركودا اخر وبعد انتهاء الحرب اخذ يستعيد نشاطه من جديد وهنا حدث شي جديد الا وهو تقسيم المانيا الى قسمين غربية وشرقية، فأصبح الأستشراق الألماني يركز على الدراسات السياسية والأقتصادية والأجتماعية والعقائدية وعلى مواضيع حديثة اخرى لم يكن قد عرفها سابقا وخلال ستينيات القرن الماضي تزايد عدد المستشرقين الذين ادركوا ضرورة الأنفتاح على موضوعات جديدة وبخاصة في جامعتي برلين وهامبورغ ولقد وصف"أوجين فيرث" حالة الأستشراق الالماني بقوله: ((يقتصر محراب المعبد على فيلوجيا اللغات السامية، وهي الوحيدة التي تحظى من المستشرقين بالبحث الجاد بينما ينشغل التاريخ والدين والقانون الإسلامي بالحجرات الخارجية للمكان المقدس وعلى عتبة ابواب المعبد يقف الأقتصاد والتاريخ الأجتماعي والجغرافي والحضارة المادية للشرق الأوسط الإسلامي))[٢٨].

وتعد جمعية المستشرقين الالمان من ابرز الجمعيات الأستشراقية في العالم، اسسها المستشرق "فلايشر"عام ١٩٦١ في مدينة هاله على غرار الجمعيتين الفرنسية والبريطانية وما زالت حتى يومنا هذا تواصل نشاطها في جمع شمل المستشرقين الالمان ودراسة التراث العربي الإسلامي ومعرفة كنوزه، وايضا تأسس المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت عام ١٩٦١ وهوتابع للجمعية الأستشراقية ويعد اول معهد يتم تأسيسه خارج ألمانيا وأول مدير للمعهد كان "هانس روبرت رويمر" وفيما بعد تعاقب على ادارته اخرين كان من بينهم مستشرقتين وهو

---

(٢٦) الجامعة الإسلامية: وهي الجامعة التي حاول عددا من المفكرين في اواخر القرن التاسع عشر تاسيسها للنهوض بالدولة العثمانية من جديد والتي وصلت الى مرحلة متقدمة من الضعف والأنحلال، للمزيد ينظر: احمد فهد الشوابكة، حركة الجامعة الإسلامية، (عمان، ١٩٨٤)، ص ص٥٦-٥٩.

(٢٧) ابراهيم الحيدري، المرجع السابق، ص٧٣.

(٢٨) المرجع نفسه، ص٩٠.

يضم مكتبة ضخمة ويقوم بنشر سلسلة من الكتب تعرف بأسم نصوص ودراسات بيروتية، صدر العدد الأول منها عام ١٩٦٤ وكانت دراسة عن اللهجة اللبنانية[٢٩].

ويمكن القول انه بنهآية القرن العشرين طرأ تغير جذري على الدراسات العربية والإسلامية في المانيا آلا وهو التخصص وكثرة عدد الشبان والشابات الذين اخذوا يهتمون بهذا النوع من الدراسات، مما استوجب إنشاء جامعات جديدة إذ نشاهد اليوم في ألمانيا أكثر من ٢٥ جامعة تعنى بالدراسات العربية والإسلامية وان هذه الجامعات اخذت تهتم فضلا عن المواضيع القديمة بالمواضيع الحديثة كدراسة اللهجات العربية المحكية والأدب العربي المعاصر من شعر ونثر، وبالقضايا السياسية والتيارات الفكرية والمجتمع العربي الإسلامي.

خصائص الأستشراق الألماني:

يلاحظ المتتبع لحركة الأستشراق الألماني انه قد اختص بالمزايا التالية:

١- لم يخضع لغآيات سياسية أو دينية كالأستشراق في البلدان الأوروبية الأخرى وذلك لأن المانيا لم يتح لها ان تستعمر البلاد العربية الإسلامية ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق ولذلك لم تؤثر هذه الأهداف على دراساتهم وظلت محافظة على الأغلب على التجرد والروح العلمية حتى وان ظهر في بعض الدراسات نوعا من الأنحراف بالرأي الا ان هذا الأمر لا يمكن تعميمه على الدراسات كلها[٣٠].

٢- لم تكن دراساتهم عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية تتصف بالعداء، وعلى الرغم من وجود بعض المستشرقين الذين جاءوا بأراء لا توافق العرب والمسلمين كبعض اراء "نولدكه" عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، واراء "فوللرز" عن القرآن وتهذيبه، لكنها كانت محدودة لان الأستشراق الألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا دينهم عداء العرب والإسلام بل رافقت دراساتهم روح الأعجاب والتقدير ونجد هذه الروح عند "رايسكه" الذي سمى نفسه "شهيد الأدب العربي" والذي يعد واضع الأساس المتين لدراسة العربية في اوروبا، وكذلك "زيغريد هونكه" في كتابه (شمس الله تسطع على الغرب) وغيرهم كثير، وتميز ايضا بطريقته العلمية

---

(٢٩) المرجع نفسه، ص ص٩١-٩٢.

(٣٠) صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان: تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ص٧-٨.

ومنهجيته الرصينة التي تتميز بالعمق والأتفاق على الصيغة العلمية التقليدية قدر المستطاع، فهو استشراق معرفي فلسفي فيولوجي وفقهي[٣١].

لقد قدم الأستشراق الألماني للعرب والمسلمين خدمات ودراسات كثيرة منها[٣٢]:

- نشر النصوص القديمة اذ ظهرت النصوص العربية القديمة محققة بعنآية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، فكان "ريسكه" أول من نشر معلقة طرفة بن العبد بشرح ابن النحاس مع ترجمتها الى اللاتينية عام ١٧٤٢، ثم ازدهر نشر النصوص في القرن التاسع عشر فنشرت مئات النصوص القديمة الأساسية في الشعر العربي القديم وفي اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية، وان مجموع ما نشره الالمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والأنكليز في تحقيق النصوص ومن حيث الدقة والعدد مما يعجز اي مجمع علمي عن نشره، ومن جملة ماحقق على سبيل المثال كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي والذي حققه "وستفلد"، ووفيات الأعيان لأبن خلكان، وطبقات الحفاظ للذهبي، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي.

- فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات المانيا ومكتبات العالم، وكان "كريستمان" اول من وضع فهرسا لمخطوطات عربية اقتناها نبيل الماني سنة ١٦٣١، ولعل اعظم اثر ي هذا الميدان هو الفهرسة التي وضعها"اللورد" في عشر مجلدات ضخمة وصنف فيها ما يقرب من ١٠ الاف مخطوط.

- الأهتمام بالمعاجم العربية فكان "يعقوب يوليوس١٦٦٧" اول من وضع معجما عربيا لاتينيا، ثم وضع "فرايتاغ" ١٨٦١ معجما مثله وغيرهم، وكذلك اهتم الألمان بالدراسات في مختلف ميادين الثقافة الإسلامية فدرس الألمان اللغة وشعر القبائل والدراسات الأرشادية الشرقية وبعض الدراسات في فن العمارة الإسلامية.

---

(٣١) بابر يهنس واخرون، تأملات في تقاليد الأستشراق الفرنسي والألماني، ترجمة: محمد صبح وعدنان حسن، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ص٩٣-٩٧؛ النور، "مجلة"، العدد ١٨٠.

(٣٢) صلاح الدين هاشم واخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، (المنظمة العربية للتربية والعلوم، الرياض، ١٩٨٥)، ج١، ص ص٧٨-٧٩؛ صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص ص٩-١١.

اتجاهات الاستشراق الألماني:

الاتجاه الأول: الموسوعيون التراثيون

يرى هؤلاء أن التراث العربي والإسلامي بحرٌ يجب خوضه، وقد أنفقوا سنواتِ عمرِهم في هذا التراث، قراءة وتحقيقًا، ونقدًا وتحليلاً، وأهمُّهم بروكلمان وفرايتاج، والشاعر والأديب فريدريك روكرت، الذي اعتنَى بشعر المعلقات ومقامات الحريري، وترجمة ديوان الحماسة لأبي تمام مع تعليقات وافية وغير ذلك، ومنهم: سيمون فايل، ومارتن هارتمان، وشبيتا، وأوجست فيشر، وليتمان ونولدكه، وآدم بيتز، وآنا ماري شميل.

الاتجاه الثاني: المستشرقون التراثيون المتخصصون

وهم كُثُر، ولعل أهمهم أعضاء جمعية المستشرقين الألمان، التي تأسَّست في عام ١٨٤٥م، وقد عقدتْ مؤتمرَها العلمي السابع والعشرين في رحاب جامعة بون، وقد ضم أكثر من خمسمائة مستشرق، واستمر من التاسع والعشرين من شهر سبتمبر حتى الثاني من أكتوبر العام ١٩٩٨، وقد تنوَّعت الأبحاث بين التراث والمعاصرة، لكنها اتجهت نحو التخصيص[٣٣].

وقد أطّر الاستشراق الألماني عدة اتجاهات، منها:

١. الاتجاه التعليمي: الاهتمام باللغة العربية والنحو العربي من أجل التعليم والتدريس.

٢ـ الاتجاه التنويري والوعي الرومانسي، فحركة التنويروحركة الوعي الرومانسي أديا إلى توجه متحمس إلى الشرق وبخاصة العرب ودراسة أدبهم ولغتهم.

٣ـ الاتجاه التاريخي، ويهدف إلى دراسة الأدب العربي واللغة العربية باعتبارهما وثائق تاريخية قيمة لمعرفة حياة العرب ونمط تفكيرهم.

٤. الاتجاه الفني، وهو يهتم بدراسة الأدب العربي دراسة فنية.

٥ـ الاتجاه الاجتماعي، ويهتم بدراسة الأدب العربي وفكرهم وحضارتهم غير منعزل عن السياق الاجتماعي والسياسي.

---

(٣٣) علاء محمد سياج، مدارس الاستشراق الأوروبية، (بيروت: دار صادر للنشر والتوزيع، ٢٠٠١م)، ص ص١٠٩-١١٠.

وقد اعتنى المستشرقون الألمان بتراثنا العربي بالكشف والجمع والمحافظة والتقويم والتحقيق والفهرسة والدراسة والترجمة والنشر والتصنيف والتأليف، وأقاموا لنشره ودراسته وتدريسه المعاهد والجامعات والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات.

ومنهم من تجاوز ذلك إلى أن تلقى أدبنا العربي تلقيا منتجا إبداعيا، وتأثر به جماليا وفكريا. وخير مثال على ذلك جوته الذي نظم قصائد حاكى فيها الشعراء العرب، وبكى كما كانوا يبكون على فراق الأحبة. ولقد وصل ببعضهم إلى شراء المخطوطات العربية، واعتبارها كأولادهم، فهذا رايسكه يقول: (ليس عندي أولاد ولكن أولادي يتامى بدون أب وأعني بهم المخطوطات). واهتم رايسكه بالدراسات العربية والأدب العربي غير مكترث بالمصاعب التي واجهته إبان حياته من جراء ذلك إلى أن لُقب (بشهيد الأدب العربي)[٣٤].

جوانب من بعض جهود المستشرقين الألمان في الدراسات العربية:

١- يوهان يعقوب ريسكه (١٧١٦-١٧٧٤):

مستشرق الماني من الرعيل الأول وعالم باليونانيات، تعلم ريسكه اللغة العربية برغبة قوية عام ١٧١٣ في مدينة"ليستك" الألمانية عندما كان يدرس في جامعاتها وبدون عون من احد تمكن من ان يتقن النحو العربي وتابع بعد ذلك اهتماماته بالمخطوطات العربية، وعندما استوعب كل المطبوعات العربية، وعندما استوعب كل المطبوعات العربية اتجه الى البحث في المخطوطات فألتمس من "يوهان كريستوف" مصنف كتاب المكتبة العبرية ان يُعيرهُ مخطوط مقامات الحريري والذي كان ضمن مجموعة مخطوطاته، فارسله اليه وقام ريسكه في سنة ١٧٣٧ بنشر المقامة السادسة والعشرين في نصها العربي مع ترجمة لاتينية، كما سافر ايضا الى هولندة بعد علمه ان مكتبة لايدن فيها غنية بالمخطوطات العربية ورغم ظروفه المادية الصعبة الا انه سافر وعمل مصححا في احدى المطابع مقابل السكن والمأكل، وفي الوقت ذاته عمل كمدرس للغة اللاتينية للطلاب الهولنديين في جامعة لايدن، وقد اطلع في عام ١٧٣٨ على المخطوطات العربية فنسخ لنفسه قصائد جرير، ولامية العرب للشنفري، وديوان طهمان،

---

(٣٤) محمد عوني عبدالرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي، (المجلس الأعلى للثقافة، الامارات، ٢٠٠٤م)، ص٢٩.

وفي السنة التالية نسخ مخطوطة الحماسة للبحتري، ثم المعلقات وخاصة معلقة طرفة بن العبد[٣٥].

وكذلك قام في سنة ١٧٤٧ بترجمة مقدمة كتاب (تقويم التاريخ) لحاجي خليفه وهذا الكتاب مؤلف من مقدمة باللغة التركية عن التاريخ الإسلامي وسرد للسنوات منذ بدء الخليقة حتى عام ١٠٨٥هـ، مع ذكر لأهم ما فيها من احداث وفي مقدمته يقدم ريسكه نظرة واسعة عن تاريخ الإسلام، وانه يرى ظهور النبي محمد (ﷺ) وانتصار دينه حدثا مهما من احداث التاريخ لايستطيع العقل الأنساني ادراك مداها، ويرى ي ذلك برهانا على تدبير قوة الهية قديرة، ويرى ايضا في تولي الأمويين للخلافة والمحن التي توالت على انصار علي (عليه السلام) تدبيرا الهيا وهو يعتنق التشيع الوارد في المصادر المتأخرة التي استند عليها، اذ يرى ان عليا بن ابي طالب هو الأحق بالخلافة بعد النبي مباشرة، وانه حرم حقه في الوراثة للخلافة طوال ما يقارب ٢٤ سنة بسبب الموأمرات ضده، وان عليا هو احسن امير عرفه العالم الإسلامي وانه كان شجاعا عادلا لكنه اخفق لسوء حظه، وفي صراع علي مع معاوية يرى ريسكه نموذجا لأنتصار المكر على القوة، والشر على الحق[٣٦].

٢- جوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩):

مستشرق الماني متخصص في الفقه الإسلامي، درس الفيولوجيا الكلاسيكية، واللاهوت واللغات الشرقية في جامعتي بروسلا وليبستل، وهو يعد من مشاهير المستشرقين الذين اهتموا بالمخطوطات العربية الى جانب اهتمامه بالفقه الإسلامي وعلم الكلام وقد انقسم إنتاج شاخت الى الأبواب التالية[٣٧]:

١- دراسة المخطوطات العربية.
٢- تحقيق النصوص المخطوطة في الفقه الإسلامي.
٣- دراسات في علم الكلام.
٤- مؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي.

---

(٣٥) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، (بيروت، ١٩٨٤)، ص ص٢٠٣-٢٠٦.
(٣٦) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص ص٥١-٥٢.
(٣٧) صدقي حسن ابو طالب، تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد العربية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ص٢٤٥-٢٦٥.

كذلك فأن "شاخت" حقق في مجال تحقيق النصوص المخطوطة ما يلي[٣٨]:

١- كتاب الخصاف: "الحيل والمخارج".

٢- ابو حاتم القزويني: "كتاب الحيل في الفقه".

٣- كتاب: "اذكار الحقوق والرهون".

٤- الصحاوي: "كتاب الشفعة".

٥- الطبري: "كتاب اختلاف القهاء".

٣- كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦):

ولد كارل بروكلمان في السابع عشر من ايلول عام ١٨٦٨م لعائلة ميسورة الحال من طبقة التجار في مدينة "روستوك"، وقد اعزيت ميوله العلمية لوالدته التي كانت خصبة الفكر وعرفته بكنوز الأدب الألماني، وظهرت موهبته في تعلم اللغات بسرعة في المدرسة الثانوية ومضى في عام ١٨٨٨ الى ستراسبورغ للدراسة وتتلمذ على يد"نولدكه" ودرس ايضا اللغة السنسكريتية والأرمنية لدى عالم اللغات "هاينرش هوبشمان" وجذبته كذلك دراسة الحضارة المصرية القديمة، وفي شتاء عام ١٨٨٩ وضع العالم "نولدكه" اختبارا لدراسة العلاقة بين كتابي (التأمل) لأبن الأثير، و(اخبار الرسل والملوك) للطبري فتمكن بروكلمان من اجتياز هذا الأختبار وان ينال درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٩٠، والى جانب ذلك واصل دراسته للعربية ونشر في عام ١٨٩١ وبدافع من "نولدكه" ايضا الترجمة الألمانية للجزء الأول من ديوان"لبيد" التي اتمها"انطوان هوبر" ثم اصدر الجزء الثاني من الديوان بالمتن والترجمة[٣٩].

اشتهر بروكلمان بنشاطه الغزير الذي اتصف بالموضوعية في اغلبه والعمق والشمول والجدة مما جعله مرجعا مهما في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، وله الكثير من المؤلفات والتراجم وتحقيق المخطوطات في المجال الأدبي، فعد كتابه الضخم (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الخمسة مرجعا لا غنى لأي باحث عنه، ومن مؤلفاته الأخرى ترجمة كتاب ابن المقفع في البيان والبلاغة، وكتاب عيون الأخبار لأبن قتيبة ي اربعة اجزاء، ومختصر تاريخ الآداب العربية، وقواعد اللغة العربية ل"سوسين" وتاريخ الآداب النصرانية في الشرق، وملاحظات شتى على تاريخ الآداب العربية واللغات المتشابهة في اللغات السامية، والجوهري، وترتيب الحرو

---

(٣٨) المرجع نفسه، ص٢٦٥.

(٣٩) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص ص١٥٥-١٥٦.

الهجائية، واسماء التصغير والتكبير في اللغات السامية، وملاحظات شتى في اللغة الكنعانية وغيرها الكثير[٤٠].

٤- فيدمن (١٨٥٢- ١٩٢٨):

يعد "فيدمن" من ابرز مؤرخي العلوم، ولد لأسرة مشهورة في العلم في آب من عام ١٨٥٢ في برلين، فوالده جوستاف فيدمن العالم الفيزيائي واستاذ الفيزياء في جامعات (بازل) و (كارلسوه) في سويسرا، في حين كان جده لامه "ايلهرد مترلش" استاذ الكيمياء الأول في جامعة برلين، وقد اتجه فيدمن الى دراسة تاريخ العلوم في الإسلام منذ حصوله على دتوراه التأهيل للتدريس عام ١٨٧٦ من جامعة ليستيك وتعلم اللغة العربية على يد المستشرق اللغوي "فلايشر" حتى اتقنها وجمعت مقالاته عن تاريخ العلوم عند العرب في مجلدين طُبعت بالأوفست في ولاية: هلدسم"[٤١]، وقد احتوى المجلد الأول على اسهامات العرب في تاريخ الكيمياء، والموازين عند العرب، ومستخلصات من دوائر المعارف العربية، وتعليق على على فصل بعنوان (القول في الهندسة من كتاب ارشاد القاصي للأنصاري)، وفصول في العلوم الطبيعية عند ابن سينا، والكتب العربية المؤلفة عن الميكانيكا، وصناعة الألات عند العرب وترجمة ودراسة الفصل الخامس بعلم الحيل في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي، وبعض التراجم البيهقي، ورسالة الكندي في الفلك، والصلب والحديد عند الشعوب الإسلامية، في حين ضم المجلد الثاني على مقالات وابحاث تناولت نظرية قوس قزح عند ابن الهيثم ورسالة الحسن بن الهيثم عن شكل الكسوف في تاريخ المسكر، وطب الأسنان عند المسلمين، والدارونيات عند الجاحظ وغيرها من المقالات قارب عددها على ٨٠ مقالة وبحث[٤٢].

---

(٤٠) نجيب العقيقي، المستشرقون ومناهجهم، (دار المعارف، القاهرة)، ج٢، ص ص٤٢٤-٤٣٠.

(٤١) عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص ص٢٩٦-٢٩٧.

(٤٢) المرجع نفسه، ص ص٢٩٧-٣٠٠.

كارل بروكلمان.. ودوره في الدراسات الإسلامية:

يعد كتاب تاريخ بروكلمان للأدب العربي للمستشرق الالماني كارل بروكلمان من أهم الأعمال الأوربية التي كرست لفهرسة التراث العربي في القرن العشرين والتي اضطلع بها يراع شخص فرد هذا العمل الضخم الذي استطاع مؤلفه أن يستقصي الجوانب المختلفة للتراث العربي المخطوط منه والمطبوع على امتداد مكتبات العالم الجديد.

وقد أدرك العرب قيمة إنجاز كارل بروكلمان وقدموا ترجمة جزئية للكتاب ثم لملاحقه لكنهم سعوا إلى الاستدراك عليه التدقيق في نتائج إيمانه في هذا العمل.

ولد المستشرق الالماني كارل بروكلمان في مدينة روستوك عند بحر البلطيق في شمال ألمانيا عام ١٨٦٨م. بدأت عنايته باللغات الشرقية مرتبطة بولعه بالجغرافية فتوارد المعلومات إلى أوربا عن اخبار المستكشفين الأوربيين في آسيا وافريقيا التي كانت تتصدر صفحات المجلات الجغرافية والتي كان يحرص على قرائتها، علاوة على ذلك كانت حكايات الرحالة والمغامرين الذاهبين والغادين من تلك الأصقاع البعيدة ومنهم أناس من معارفه وأهل مدينته قد داعبت مخيلته وقادته لتصور نفسه ماضٍ لتحقيق اكتشافات شخصية ترفع اسمه وتجعله في أعداد المشاهير[٤٣].

وكان يعلم أيضاً بأن يعمل على ظهر السفن مترجماً أو مبشراً أو طبيباً.. وفي ذلك كله كان يحركه الأمل أن يكتشف العالم[٤٤]. ومما لا شك فيه أن ذلك تعبير عن الروح التي عاشها الألمان آنذاك مع توحيد ألمانيا وقيام الإمبراطورية الألمانية وبداية التحاقها بركب الدول العظمى وفي التوسع خارج أوربا صوب آسيا وأفريقيا، وعندما لم يتمكن من الانتقال جدياً إلى الشرق قرر أن يجلب الشرق إليه فبدأ بتعلم اللغات الشرقية، وكانت أولى خطواته إجادة العبرية ومن بعدها الآرامية والسريانية[٤٥].

---

(٤٣) الارناؤوط محمود، كارل بروكلمان، ٢٠٠٣/٣/٢٥.

(٤٤) بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣).

(٤٥) بدران، محمد أبو الفضل، الاستشراق الالماني ودوره في نقل الثقافة العربية.

والمثير أنه حقق خطوات مهمة في هذا المضمار، وهو لمَّا يزل في مرحلة الدراسة الثانوية، إلى حد أنه قام بمغامرة وضع كتابين في نحو اللغات الأجنبية، الأول في لغة البانتو (لغة اهل أنغولا)، والثاني اللغة الآرامية القديمة(٤٦).

ثم تعمق اهتمامه باللغات الشرقية عند التحاقه بجامعة روستوك عام ١٨٩٠م، حيث قرر أن يجمع بين حبه للدراسات الشرقية ودراسة اللغات اليونانية واللاتينية.

وفقاً لقوله بأن الدراسات الشرقية ليس لها مستقبل وظيفي(٤٧). لكن دراسته للكلاسيكيات زادت من مقته لها وعمقت بالمقابل حبه للغات الشرقية. فنصحه أستاذه المستشرق الوربي فيلبي، وهو لما يكد يمضي موسماً دراسياً واحدة في جامعة رستوك بالانتقال إلى جامعة برسلاو لأن مستوى تدريس اللغات الشرقية فيها أعلى وأعمق. واعطاه توصية إلى أستاذ اللغات الشرقية فيها (فرانز بريتيريوس).

إن نشر نص كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بعمله الأشهر الذي نحن بصدد دراسته (تاريخ الأدب العربي)، ففي سعيه لنشر النص العربي لكتاب ابن قتيبة تعرف على ناشر ألماني شاب من قريته فايمر، اسمه (فلير) الذي تبنى نشر الكتاب ووعده بمكافأة مجزية، لكنه اشترط عليه أن يقدم له عملاً يمكن أن يستحصل على اهتمام المتلقي الألماني، فاستفز ذلك في بروكلمان العودة إلى تناول محاضرته الافتتاحية التي بدأ بها دوره الأكاديمي في جامعة برسلاو عام ١٨٩٣م، والتي تناولت أهمية إعداد دراسة ببلوغرافية السفسطائية بالألمانية عن التراث العربي الخطوط والمطبوع لتكون القاعدة المهمة التي ستؤسس للبحث العلمي في مجال التراث العربي، فكان كتابه (تاريخ الأدب العربي)، الذي جمع فيه خلاصات أبحاثه في مجال المخطوطات، والذي تعمق في لندن واستانبول وما تضمنته الفهارس وفي مقدمتها الفهرس الذي أعده معاصره (فيلهيلم اهلوارد) آنذاك نحو أربعاً وثلاثين

---

(٤٦) العقيقي، نجيب، المستشرقون، (القاهرة، دار المعارف المصرية، ٢٠٠٦)، ط.

(٤٧) فوك، يوهان، كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٤)، ضمن كتاب: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الألمان، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨).

فهرساً، والأدلة السابقة للمخطوطات الذي يعمق للمخطوطات العربية في برلين، والذي جاء بنحو عشرة مجلدات، وقد وجد الناشر أن عملاً من هذا النمط سيكون أكثر ثقلاً على القارئ الألماني، الذي بالتأكيد لن يعنيه كثيراً أن يقرأ عملاً من كتاب ابن قتيبة فيبدأ مشروعه الضخم تاريخ الأدب العربي الذي أتمه في أكثر من نصف قرن، وكان إسهامه الأبرز ومبعث شهرته. ونشرت الصيغة الأولى له بين عامي (١٨٩٨– ١٩٠٢م) في مجلدين وبأربعة أجزاء، لكن بين بروكلمان أن ناشر الكتاب قد احتال عليه وعليه حقوقه إذ سرعان ما اختفى عن ناظريه قبل أن يدفع له مستحقاته المالية، والاهم قبل أن يتبرع بطبع كتاب ابن قتيبة كما سبق الاتفاق. وعندما عاد الناشر إلى ظهور رفض أن يدفع لبروكلمان المال المتفق عليه نظير نشر كتاب (تاريخ الأدب العربي)، كما ذكر بروكلمان أن الناشر قد طبع ثلاثة آلاف نسخة من الكتاب الأخير دون علمه، وهو رقم كبير جداً كما يقول المستشرق المعاصر (يان ويتكام)، اذ لم يكن طبع من المؤلفات الاستشراقية آنذاك إلا بضع مئات لعدم إقبال الناس على شرائها، فدخل معه في خصومة مالية تواصلت مع ورثة هذا الناشر بعد وفاته، كما يستمر معنا.

وفي عام ١٩١٠م شغر منصب أستاذ اللغات الشرقية في جامعة هاله التي تعد مركز المستشرقين الألمان بوصفها مقر جمعيتهم، وذلك بانتقال أستاذه القديم بريتريوس إلى برسلاو، فقبل بروكلمان المنصب الذي عرض عليه وانتقل إليها ليمضي فيها نحو اثني عشر عاماً، تقلد خلالها أيضاً رئاسة جامعتها إبان الفوضى التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

وفي إستانبول تفتحت عينا الباحث الشاب على كنوز المخطوطات العربية، فدهش لذلك. فقرر أن يكرس حياته لسبر أغوار هذا العالم المدهش، حتى أمضى شتاء عام (١٨٩٥– ١٨٩٦م) فيها وأنفق ما معه من مال لشراء المخطوطات والكتب. ثم عاد بروكلمان إلى مدينة برسلاو ليمضي فيها مدرساً حتى عام ١٩٠٠م، عندما دعاه المستشرق (إدوارد سنماو) للتدريس في معهد برلين الاستشراقي بعد شغور المنصب إلى جامعة ليبزك، وفي عام ١٩٠٣م حصل على فرصة للارتقاء لدرجة الأستاذية بعد أن تفاعل المستشرق (جوزيف يان) من جامعة كوينكربرك (الآن هي كالينغراد في روسيا)، فانتقل إليها بروكلمان وسكن فيها حتى عام ١٩١٠م.

لقد أظهر بروكلمان خلال سنوات دراسته وتدريسه وحتى عام ١٩١٠م نشاطاً علمياً وبحثاً واسعاً ومتنوعاً، فقد كانت باكورة أعماله أن نشر عام ١٨٩١م، وبتشجيع من أستاذه (نولدكه) نص وترجمة ديوان الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعه استكمالاً لعمل المستشرق الألماني (هوبر) الذي توفي بعد إكماله ترجمة الجزء الأول من الديوان، فقام بروكلمان بترجمة الجزء الثاني منه وضبط النص العربي ونشره بمقدمة كتبها نولدكه نفسه. ثم خاض بروكلمان تجربة كبيرة عندما نشر عام ١٨٩٥م (معجم اللغة السريانية) الذي نسخ القواميس السابقة تلك التي ظهرت في أوربا والشرق، والذي بقي حسب قول المستشرق الالماني (يوهان فوك) أهم قاموس للغة السريانية. وقد كتب مقدمته نولدكه كذلك، والمفارقة أنه نشر هذا الكتاب باللغة اللاتينية وليس بالألمانية لكي يكون موجهاً للجمهور الأكاديمي الأوربي وليس الألماني فحسب، وأتبعه في عام ١٨٩٨م بكتاب (النحو السرياني)، وساهم في عام ١٩٠١م بإصدار كتاب بعنوان (تاريخ الأدب المسيحي في الشرق) بالتعاون مع عدد من الباحثين، وكانت مساهمته تحت عنوان (تاريخ الأدب المسيحي في الشرق)، ركز فيه على الشعراء والأدباء النصارى ممن كتبوا بالعربية، وهؤلاء كان قد استبعدهم من كتابة (تاريخ الأدب العربي) الذي قصره على الأدبيات العربية والإسلامية، وأهمل ذكر الكتَّاب اليهود والنصارى لأنهم لم يتكلموا لاسيما بعد ظهور الإسلام عنصراً مؤثراً في الأدب العربي وإنما اقتصرت أعمالهم على حلقاتهم الخاصة بهم، ونشر في مجلة الآشوريات رسالة للغوي الشهيد الكسائي الموسومة "لحن العامة"، وأصدر بالتعاون مع المستشرق (إدوارد سيغاو) كتاب الطبقات لابن سعد عام ١٩٠٤م، أما كتاب ابن قتيبة الذي كان قد نسخ مخطوطة من إستانبول فقد اكتمل إصدار أجزائه الأربعة في برلين وستراسبورغ عام ١٩٠٨م، بعنوان: (عيوان الأخبار لابن قتيبة بالاستناد إلى مخطوطات القسطنطينية وسان بطرسبورغ).

إن عمله الإداري لم يعيقه عن المضي في إنجازاته العلمية المتنوعة التي توزعت على أربعة حقول، هي: الدراسات السريانية السامية والدراسات العربية والدراسات العثمانية، فقد تواصل في الحقل الأول مع دراساته السابقة فنشر في هذه المرحلة عدداً من الدراسات من أبرزها كتابة (نحو اللغة السريانية)، وفي اللغات السامية نشر كتابه (نحو اللغات السامية) وزيد

عليه عام ١٩١٣م بكتابه (دراسة حضاريه في قواعد النحو السامي)، ثم أعقبه بدراسة ثالثة بعنوان (علم اللغات السامية) في جزئين، في يحين قدم للعربية بحثه (الجوهري والألفبائية العربية)، ونقح كتاب (قواعد اللغة العربية) للمستشرق سوسين.

أما الدراسات العثمانية فتأتي في مقدمتها أبحاثه المعتمدة في اللغة بكتاب (ديوان لغات الترك) للكاشفري، من بينها (وصف لغوية تركية) وغيرها.

ولعل تكثيف اهتمام بروكلمان بهذا الموضوع وإن كان مرتبطاً أولاً باعداده بوصفه مختصاً باللغات الشرقية والتعبير عن الدور المهم للمستشرق والتمثيل بالبحث الفيلولوجي إلا أنه كسب أهمية أكبر في عصره، إذ أن هذا الموضوع قد أصبح بؤرة الجدل العلمي الذي بدأ في أواخر القرن التاسع عشر، ففي تلك المرحلة شاعت النظريات الغربية والعرقية وفكرة الجنس النقي وقد حاول الباحثون الغربيون انطلاقاً من هذه النظريات دراسة شجرة اللغات الهندو–أوربية وعلاقتها باللغات السامية وسائر اللغات ولاسيما في أبحاث (بول دي الاجاربد) و (إرنست رينان)، فقد ذهب البعض إلى القول بوجود لغة أصلية وأخرى نبعت عنها سائر المجموعات اللغوية والتي تفرعت بدورها إلى عدة لغات أصلية ومنها إلى لهجات. وثار جدل شديد حول وطن هذه اللغة الواحدة الأولى المزروعة التي حلا للبعض الادعاء بأنها انطلقت من أوربا وأصبحت أساس اللغات الأخرى إيماناً بالتصورات السائدة حينها بشأن الدور المركزي للحضارة الأوربية ونقاء أعراقها، وفي مقدمتها العرق الآري. وإذا كانت مقررة بروكلمان اللغوية المتوقفة حيث كان يجيد نحو عشر لغات شرقية قد جعلته قادراً على المساهمة بشكل فعَّال في هذا الحوار إلا أنه وفقاً لما ذكره المفكر العربي عبد الرحمن بدوي فضل الابتعاد عن كل هذه النظريات التي ربطت بين التكوين البيولوجي وتطور اللغة واهتم فقط بالدراسة الفيلولوجية والناتجة عن تطور اللغات المعروفة، فرأى أن الغرض من المقارنة بينها هو فقط في السعي لإيضاح تطور كل لغة لأن قوانين تطورها متشابهة كما أن اللغة الواحدة لم تعش وتتطور في عزلة تامة واستقلال عن اللغات، وطال الحديث عن عرق واحد نقي ومتفوق ولعل هذا الموقف هو الذي سيؤدي من بين جملة أسباب أخرى إلى دخول بروكلمان في مواجهة مع النازية في الثلاثينيات، فقد قدم استقالته من منصبه فعاد أستاذاً للغات الشرقية بعكف منه عندما اشتد الضغط عليه، إلى أن قدم

استقالته من منصبه فعاد استاذاً للغات الشرقية والعمل على إنجاز أبحاثه العلمية، ثم بلغ سن التقاعد في عام ١٩٣٥م، فآثر الانتقال مرة أخرى إلى جامعة هاله ليدرس فيها ويمضي بين ظهرانيها سنوات الحرب العالمية الثانية، وعندما وضعت الحرب أوزارها ترك التدريس ليعمل أميناً لمكتبة جمعية المستشرقين الألمان، وقد اتاح وجود بروكلمان في هاله الفرصة له لمواصلة تنقيح كتابه الأشهر (تاريخ الأدب العربي) فقد كان طوال المراحل السابقة (أي بعد عام ١٩٠٢م عندما أكمل نشر الطبعة الأولى من كتابه) معتاد على إضافة بطاقات عن موضوعاته ليتضمن استدراكات على ما قدمه من معلومات وتصنيف إليها، وبالفعل وجد أن الاستدراكات والإضافات قد تضاعفت بما يؤمن له أن يعيد نشر الكتاب، لكنه جوبه بمعارضة ورثة ناشر الكتاب الذين رفضوا إعادة نشره حفاظاً على النسخة الأصلية وتداولها بين القراء، فما كان منه إلا أن توجه إلى دار نشر بريل الهولندية العريقة ليقدم لها نص جديد تحت عنوان مختلف عام ١٩٣٧ و ١٩٤٢، وحاول بروكلمان أن يحتفظ في الكتاب الجديد بالصلة مع الصيغة السابقة (طبعة عام ١٩٠٢م) من خلال تثبيت أرقام صفحات تلك الطبعة على متن النسخة الجديدة مع استرداكات وتصحيحات عليها في نهاية كل ملحق، وعاد بروكلمان وأصدر ملحق ثالث للكتاب لكنه لا يرتبط بما سبق لأنه كرسه لتناول الأدب العربي الحديث منذ الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م إلى الحرب العالمية الثانية، وقد اختلف هذا الملحق إلى حدٍّ ما عن أقسام الكتاب، إذ أنه وعلى الرغم من تواصله بعرض سير المؤلفين وتعداد عنوانات مؤلفاتهم فقد قدم معلومات عن محتويات هذه المؤلفات وذيل عليها بملحوظات تحليلية تتعلق باللغة والأسلوب، ومن جهة أخرى بدأ يطلق أحكامه الشخصية على الأعمال الجارية، لا بل إنه لم يخف تعاطفه مع النضال السياسي للشعوب الشرقية ضد الاستعمار الأوربي واستبداد حكوماتها المحلية، فقد حظي باحترام وتقدير العالم الإسلامي بسبب موقفه هذا، ومن جانب آخر فإن بروكلمان عندما نشر طبعته الأولى كان قد استعان بما هو متاح له من فهارس للمخطوطات والمطبوعات حينما كان عددها آنذاك أربعاً وثلاثون فهرساً أو دليلاً.

وقد اشتملت الطبعة الجامعة التي ضمت المجلدين الأولين والملحقات الثلاثة والتي صدرت بالألمانية عام ١٩٤٧م على (٤٧٠٦) صفحة، فكان عدد صفحات المجلد الأول (٧٦٠٦).

ويعد المستشرق الالماني (يوهان فوك) أن الذي مكن بروكلمان من القيام بهذا المشروع الضخم وتنفيذه حسب خطة مدروسة وفي حدود ما يمكن تحقيقه عملياً هو ذاكرته الممتازة التي كانت تحفظ بدقة كل ما كان يقرأ، وكان يقرأ كثيراً وبسرعة، ويضاف إلى ذلك قدرته على التنظيم والتنسيق التي كانت تحيل الفرصة الكثيرة المتراكمة إلى مجموع متناسق معقول علاوة على براعته وموهبته في التعبير عن أفكاره بعبارات سلسة بدون عناء وفي سيولة بحيث كانت المسودة التي يخطها تصلح للطبع في القالب مباشرة.

اختار بروكلمان أن يطلق على كتابه تسمية (تاريخ الأدب العربي) ومن جانب آخر رأى بروكلمان أن الوقت لم يحن بعد لكتابة تاريخ نقدي شامل للأدب العربي يقدم إلى جانب العرض التاريخي على تحليل هذه الأدبيات وإبداء الرأي بها، وحجته أن ما طبع منه قليل جداً مقارنةً بالمخطوط، كما أن القليل من هذه الأدبيات نشر علمياً نقدياً محققاً، ومن هنا أدرك أن كل بحث في تاريخ الإنتاج الأدبي والعلمي عند العرب يجب أن يسبقه.

وفي كثير من الأحيان لا يكتفي بروكلمان بذكر تلك المعلومات السرية على غرار ما هو معمول به في كتب الطبقات والتراجم أو كتب الفهارس، لكنه ينطلق إليها مع التعميق في الاستعراض التاريخي، ونرى أيضاً تحليلاته وذوقه الجمالي وأحكامه الخاصة التي أثارت إعجاب ونقد كل من قرأ الكتاب في الوقت نفسه، وقد اختار بروكلمان أن يبدأ كل فصل من الكتاب بمقدمة يستعرض فيها قسمات العصر السياسية والأدبية ثم يبدأ بمداخل الكتاب التي تتضمن مقدمة موجزة لسيرة الشخص المترجم له تتضمن تواريخ مولده ووفاته (إن وجد) ومن بعدهما مجال نشاطه ثم مقتبسات من المصادر عن سيرته على نحو مختصر ثم ضبط طريقة كتابه أسمه بالحروف اللاتينية وعناوين كتبه المعروفة وبضمنها أيضاً مخطوطات كتبه وأماكن تواجدها والأدلة التي وردت والطبقات المحققة لهذه الكتب وأماكن نشرها وتواريخ النشر، وما ذكره من المؤرخين العربي والمفهرسون القدماء عنها. وثمة ملاحظة جديرة بالانتباه هي أن بروكلمان قد وقع في أخطاء في ضبط عناوين المخطوطات وأماكن تواجدها.

الخاتمة:

يمكن القول ان الأستشراق الألماني قد ساهم في توجيه البحث العلمي نحو عدد من الوظائف الملائمة له وفي مقدمتها الدراسات المقارنة والتخصصات النادرة التي ترتبط بالشرق، كما في اللغات السامية ولهجاتها المختلفة، وايضا في تقديم المعلومات الضرورية عن العالمين العربي والإسلامي والقيام بالدراسات الستراتيجية وتدريب الخبرات وتوزيع التخصصات في العلوم الطبيعية والأنسانية وغيرها، وتعميق الأتصال الحضاري عن طريق التفاهم والحوار وأمكانية بناء جسر حضاري للأنفتاح على روحانية الشرق وافاقه.

وعلى الرغم من الجوانب الأيجابية والمشرقة لموضوع الأستشراق والتي قدمت اضافات علمية قيمة له، فأنه سيبقى في جوهره قائما على التمييز بين التفوق العلمي التقني للغرب والتأخر الأقتصادي والأجتماعي للشرق، وهو ما اسهم في عدم تصحيح الصورة المتبادلة بين الشرق والغرب والصورة المشوهة التي انطبعت في اذهان الغرب.

السيرة النبوية في دراسات المستشرقين الألمان

بحث تقدت به

الطالبة / مريم علي جاسم عيسى

المرحلة الرابعة – شعبة (ج)

بإشراف

د. حيدر قاسم مَطَر التميمي

المقدمة:

اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية منذ عهد مبكر، ومن تلك الدراسات التي أولوها عناية واهتماماً ما يتعلق بسيرة النبي ﷺ.

وقد تمثلت تلك الاهتمامات بدراسة السيرة النبوية وتحليل أحداثها، ومناقشتها، وتحقيق كتبها ونشرها وترجمتها الى اللغة الألمانية.

ويأتي هذا البحث في محاولة لإنصاف ظاهرة الاستشراق الألماني في ميدان التصنيف في السيرة النبوية، ووضعه في الموضع المناسب، وذلك من خلال ذكر من كتب فيها، وبيان الجهود والمآثر التي امتازوا بها، والمآخذ والأخطاء التي وقعوا فيها، رغبة في النظرة العادلة لتلك الظاهرة الاستشراقية.

وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين:

المبحث الأول: استعرضت فيه إسهامات المستشرقين الألمان في خدمة السيرة النبوية من خلال التصنيف فيها، وذكر بذكر أسمائهم، ونبذ مختصرة عن نشأتهم، وأهم مصنفاتهم العامة، وما وقفت عليه من مصنفاتهم في السيرة النبوية.

وأما المبحث الثاني: فقد خصصته للكلام عن المنصفين والمتعصبين من المستشرقين الألمان الذين صنفوا في سيرة النبي ﷺ، وبيان منهجية الفريقين في تناول أحداث السيرة النبوية.

ولا بد من الإشارة في هذا المقام الى أنني لم اعمد في هذه الدراسة الى حصر كل ما أسهم به المستشرقون الألمان في التصنيف في سيرة النبي ﷺ، ولكنني عرضت بعض النماذج التي استطعت الوقوف عليها من خلال البحث والتتبع والاستقراء.

المبحث الأول:

المستشرقون الألمان الذين صنفوا في السيرة النبوية

تعود العناية بالسيرة النبوية من قبل المستشرقين، إلى قبيل قيام الحروب الصليبية ١٠٩٨-١٢٩١م، كما في اللغة الإنجليزية[١]، واللغة الروسية، حينما ظهر كتاب المفكر الروسي ذي الخلفية المسيحية سوليفري: محمد: حياته وتعليمه الديني، في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وكتاب آخر ألفه نيكولاي تروناؤو جاء عرضًا لمبادئ الشريعة الإسلامية سنة ١٨٥٠م، ثم اللغة الألمانية، واللغة المجرية، حيث انطلقت الكتابات عن الرسول ﷺ، بدءًا بما كتبه جيرمانوس جولا، الذي أسلم وحمل الاسم عبد الكريم جرمانوس، وذلك سنة ١٩٣٢م.

ثم ظهرت اللغة العبرية لتسهم في سلسلة الطعون والشبهات لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسنته، مستقية هذه الطعون والشبهات من اللغات الأخرى، لترسيخ مفهوم أن محمدًا ﷺ قد بنى هذا الدين على التعاليم اليهودية والمسيحية، كما يدعي رهط من المستشرقين.

لم يحتفظ لنا التراث الإسلامي في زمن البعثة بآثار مهمة عن تصور المسيحيين للرسول سوى ما جاء في القرآن الكريم وروايات الحديث، وبعد وفاة الرسول استمر الإسلام في الانتشار بينما شهدت المسيحية انحسارا متواصلا وهنا ظهرت تصورات جديدة عن الرسول في البلاد المفتوحة تغذيها كتابات علماء الكلام المسيحيين الشرقيين مع الرهبان ورجال الكنيسة وكلها حقد وتشويه لحياة الرسول الكريم والإسلام. ومن أبرز هؤلاء الكتاب: يوحنا الدمشقي وعبد المسيح الكندي وتيودور أبي قرة وإيليا النصيبي وقد تركوا كتبا ورسائل تنسب إليهم لم تكن سيرا مكتملة بمعنى السير ولم يكونوا مستخبرين بما يكفي عن حياة الرسول، ولم تخرج كتاباتهم عن الحرب الكلامية والغمز واللمز في الإسلام والرسول، وعلى هذه الكتابات سوف يعتمد كتاب القرون الوسطى المسيحيون.

---

[١] انظر: محمد مهر علي، الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية: عرض تحليل، ص ١٠، في: ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، المرجع السابق، ٥٣ص.

إلى جانب الكتابات المسيحية الشرقية هنالك الكتابات البيزنطية التي تنسب إلى بعض المؤرخين الذين عاشوا في كنف بيزنطة قبل أن يفتحها المسلمون ومن أبرز هؤلاء تيوفان وسدرنوس وهامرتلوس وبارتلمي الأديسي ولهم كذلك كتب أشاروا فيها إلى كثير من وقائع السيرة غير أن هدفهم الأساس هو بيان أن الرسول ليس نبيا حقيقيا وأن الإسلام لا يمكن أن يكون بحال بمثل السمو والرفعة المسيحية وبالتالي فلا يمكنه أن يخلفها أو يحتل مكانها، وكانت صورة الرسول فيها هي صورة الكذاب والدعي والمسيح الدجال ومجالا لاختلاق القصص الكاذبة والتهم التي لا أساس لها من الصحة.

بعد الكتابات البيزنطية تأتي كتابات الرهبان والقساوسة في القرون الوسطى هنا سوف يزداد الأمر سوءا حيث تزامنت مع فترة الحروب الصليبية حيث تأجج العداء بين المسلمين والنصارى ورغبة رجال الكنيسة في التشنيع على المسلمين من أجل إثارة حماس الجيوش الجرارة. وتتسم هذه الكتابات بالجهل التام عن الإسلام والرسول ويغلب عليها الطابع الأسطوري والخرافي وأغلب كتابها يجهلون العربية ولا يعودون إلى مصادر إسلامية. ومن أبرز الوقائع التي نجدها تتكرر بكثرة قصة بحيرا الراهب أو الراهب الذي حرم من البابوية فرحل إلى بلاد العرب لإغواء محمد بالنبوة من أجل الطعن في المسيحية...

ولعل من أشهر الكتاب المسيحيين في القرون الوسطى عن السيرة، جيبردينوجنت وبطرس المبجل وفانسان دو بوفي وجيوم الطرابلسي وآخرون، وتوجد أخبارهم في مقدمات كتبهم المترجمة عن اللاتينية إلى الفرنسية والإنجليزية وأورد هنري دوكاستري قائمة طويلة بأسمائهم وكتاباتهم في كتابه الإسلام خواطر وسوانح وكذا عبد الرحمان بدوي في كتابه الحافل دفاع عن السيرة النبوية ضد المنتقصين من قدرها.

ونجمل القول بأن هذه الكتابات كانت سلاحا دعائيا ضد الإسلام تستهدف النصارى قبل المسلمين لبعث الثقة في قلوبهم بأن المسيحية هي الدين الحقيقي الذي لا ينبغي الخروج عنه. لذلك وقع التركيز فيها بشكل لافت على أسطورة بحيرى مع اختلاف يسير في التفاصيل والغرض هو إظهار الإسلام في صورة دين مارق انتسخ جل أصوله عن المسيحية.

ولم تقف هذه الحملة بعد انصرام الحروب الصليبية بل استمرت قرونا بعد ذلك وأثرت في أجيال من الكتاب مع فرق واضح حيث نقصت حدة الهجوم وازداد الإطلاع على المصادر الإسلامية...

مع ظهور الاستشراق انتقلت أوربا إلى طور جديد من أطوار تصورها للرسول ، من أبرز سماته التخفيف من نبرة العداء والتعصب دون أن تنقطع، وبداية التعامل مع المصادر الإسلامية بجد، مع تنوع في المناهج وتراكم كبير وغزير في الإنتاج. وقد اهتم المستشرقون بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا جدا يفسره كثرة ما صنفوه فيها، لأنها تجسد قيم الإسلام بصورة عملية وشاملة، تفسر القرآن الكريم وتجلي العقيدة السليمة وتشرح أسباب ورود الحديث الشريف، وتتضمن أصول التربية والاقتصاد والسياسة وأمور المجتمع والمعاملات والأخلاق والسلوك. ثم لأنها نواة التاريخ الإسلامي الذي يتسلسل في حلقات متواصلة مبهرة إذا نجحوا في التشكيك في أساسها هانت عليهم بعد ذلك بقية الحلقات، كما أن طعونهم المتواصلة في ربانية القرآن تدفعهم إلى التشكيك في حياة من يزعمون أنه مؤلفه وهو الرسول .

لهذه الأسباب وغيرها نجدهم يولون عناية بالغة للسيرة النبوية ويؤلفون فيها المقالات والكتب بالمئات.

ومن حسنات المستشرقين في مجال السيرة النبوية أنهم جمعوا مخطوطاتها ووثائقها الأصلية واعتنوا بها وفهرسوها وعرفوا بها ونشروا أصولها، مثل تهذيب ابن هشام، وطبقات ابن سعد، ومغازي الواقدي، وأنساب الأشراف للبلاذري. ولولا الجهد الذي بذلوه لضاع كثير من هذه الأصول.

كما قاموا بترجمة كثير من نصوص السيرة إلى لغاتهم، وكتبوا دراسات نقدية جيدة حول كثير من مواضيع السيرة تعج بها المجلات والنشرات الاستشراقية المختلفة.

ومن أبرز النماذج في هذا المجال المستشرق الألماني "وستنفلد" الذي أمضى في علم الاستعراب ستين عاما إلى أن كف بصره، وأعماله تربو على مائتي عمل، وقد قدم خدمات جليلة للعلم بنشره للعديد من الكتب محققة مقابلة، خاصة في مجال اللغة العربية والجغرافية والتاريخ الإسلاميين، ومن أبرز ما نشره من كتب في السيرة النبوية سيرة ابن هشام مع تعليقات بالألمانية، والمُوَفَّقِيَات للزبير بن بكار، وكتاب عن مكة بالألمانية، وأخبار مكة للأزرقي، وأخبار مكة للفاكهي، وشفاء الغرام للفاسي، والجامع اللطيف لابن ظهيرة، والإعلام بإعلام البلد الحرام للنهرواني مع مقدمة بالألمانية، وتاريخ المدينة للسمهوري، وتاريخ أشراف مكة... إلخ

والخلاصة أنه قل أن تجد مستشرقا بالمعنى الصحيح للكلمة ليست له دراسة أو دراسات عن السيرة النبوية مهما كان اهتماماته واختصاصاته.

لعبت المدرسة الاستشراقية الألمانية دوراً هاماً في مد جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوربا، وقدمت مساهمات كثيرة في مجال الدراسات الإسلامية، وقد كان لهذه المدرسة فضل السبق في نشر كثير من المخطوطات وتحقيقها، وطباعة كتب التراث، وترجمة القرآن الكريم.

كما لا يمكن أن لا ينطلق اللسان بمدح تلك الجهود والثناء عليها، فبفضلها برز كثير من نوادر كتب العلم والمعارف التي لم الترمذي ضوء الشمس منذ قرون، وكم من المصنفات القيمة قد صدرت لأول مرة بفضل نشاطهم وهمتهم، وقرت بها عيون العلماء والمتعلمين.[١]

ويختلف الاستشراق الألماني عن بقية مدارس الاستشراق الأوربية الأخرى سواء أكان ذلك من حيث النشأة أم من حيث الاهتمام بالدراسات المرتبطة بالعصر الحاضر.[٢]

وقد أولى المستشرقون الألمان سيرة النبي ﷺ اهتماما كبيرا، وذلك من خلال التصنيف والكتابة فيها، وترجمة كتبها، وتحقيقها، ونشرها، وسأتناول في هذا المبحث تلك الجهود المبذولة، مقتصرا على ميدان الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية مرتبا ذكر هؤلاء المستشرقين على حسب حروف المعجم:

١ – آن ماري شيمل:

من أشهر المستشرقين الألمان المعاصرين، ولدت عام ١٩٢٢، بدأت دراسة اللغة العربية في سن الخامسة عشرة وتتقن العديد من لغات المسلمين وهي التركية والفارسية والأوردو.

درّست في العديد من الجامعات في ألمانيا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وأنقرة، اهتمت بدراسة الإسلام، وحاولت تقديم هذه المعرفة بأسلوب علمي موضوعي لبني قومها حتى نالت أسمى جائزة ينالها كاتب في ألمانيا تسمى جائزة السلام.

ولكن بعض الجهات المعادية للإسلام لم يرقها أن تنال هذه الباحثة المدافعة عن

---

[١] – الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين لأبي الحسن الندوي: ١٦ – ١٧.

[٢] – أنظر الاستشراق الألماني للدكتور احمد محمد هويدي: ٩ – ١٠.

الإسلام في وجه الهجمات الغربية عليه حاولوا أن يمنعوا حصولها على الجائزة.

وقد أدرك مكانة هذه المستشرقة العلاّمة والداعية المسلم في أوروبا الدكتور زكي علي منذ أكثر من أربعين سنة حين كتب يقول "وعلى رأس المحررين لمجلة 'فكر وفن' الأستاذة الألمعية الدكتورة آن ماري شميل المتخصصة في دراسة محمد إقبال حكيم وشاعر باكستان.. وترجمت إلى الألمانية له ديوان 'جاويد نامة' وكتاب 'رسالة المشرق عن الفارسية' وهي أستاذة بجامعة بون وغيرها ومن أكابر علماء ألمانيا... وتتصف الإسلام والمسلمين كثيراً جزاها الله خيراً." وقال عنها أيضاً أنها أصدرت العديد من الكتب منها كتاب 'محمد رسول الله' ﷺ بسطت فيه مظاهر تعظيم وإجلال المسلمين لرسول الله ﷺ.[1]

وقد كانت شيمل تهتم في دراساتها بنقد أعمال المستشرقين وتقويمها، وقبل ذلك كانت تهتم بالتصوف والمتصوفين، والعلاقة الشديدة بالشعر والأدب وبخاصة جلال الدين الرومي، والاهتمام بالآداب الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية.

وكانت لها علاقة خاصة بالقرآن الكريم، لأنها كانت تؤمن بأنَّ المنبع الأصيل لفهم الإسلام هو القرآن الكريم، لذلك فإنها كانت تحب القرآن حبًّا جمًّا، وقد حفظت قسما منه، وكانت قد ترددت أنباء عن إسلام شيمل، غير أنها لم تشهر إسلامها حتى وفاتها.

ومن كتاباتها عن سيرة النبي ﷺ كتاب: " محمد نبي الله " أو " الرسول في الإسلام ".

وعلى الرغم من أن المستشرقة شيمل تقاعدت عن العمل في عام ١٩٨٢ م إلاّ أنها لم تترك البحث والدراسة والكتابة حتى آخر لحظة من حياتها عندما وافاها الأجل في بون في يناير عام ٢٠٠٣ عن عمر يناهز الثمانين عاما.

وقد شهد بفضل تلك المستشرقة الشرقيون والغربيون على حد سواء.[2]

٢- أوتو برتسل:

وهو مستشرق ألماني، ولد في العشرين من ابريل عام ١٨٩٣ في ميونخ، وتتلمذ في جامعة منشن، حيث درس معظم اللغات السامية، وتخصص ابتداء في علم العهد القديم من الكتاب المقدس، ثم ما لبث أن صرف كل اهتمامه الى اللغة العربية ولهجاتها، والقراءات

---

[1] - مجلة البريد الإسلامي العدد الصادر في ١٩٦٣/٦/٢٥. كتب عنها الشيخ أحمد زكي يماني ،وهو يرى أنها أسلمت ولكنها كانت تخفي إسلامها.

[2] - المصدر السابق: ١١٩.

القرآنية بصورة خاصة، ووضع مشروعا لنشر المؤلفات الرئيسة في القراءات، وتولت رعايته والإنفاق عليه أكاديمية بافاريا للعلوم، وحقق كتاب التيسير في القراءات السبع ونشر في اسطنبول عام ١٩٣٠، وكتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النّقط " كما اهتم أيضا بعلم الكلام في الإسلام، وقد شارك في الحرب العالمية الثانية، وقتل وهو يؤدي واجبه العسكري في حادث سقوط طائرته، وذلك في الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٩٤١، وهو في الثامنة والأربعين من عمره.

ومن كتاباته في سيرة النبي ﷺ بحثه الموسوم "محمد بوصفه شخصية تاريخية"، وقد طبع عام ١٩٤٠.[١]

٣- أوجست فِشَر:

وهو مستشرق ألماني اختص باللغة العربية: نحوا وصرفا ومعجما، مواصلا الدرب الذي بدأه أستاذه اللغوي هينرش ليبرشت فليشر مؤسس ما يعرف باسم مدرسة ليبتسك في الاستشراق الألماني.

ولد أوجست فشر عام ١٨٦٥، وتوفي في الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٩٤٩.

وقد حصل على شهادة الدكتوراه الأولى نهاية عام ١٨٨٩ من جامعة هلّه، وكان عنوان رسالته: " تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحاق "وقد نشرت تلك الرسالة عام ١٨٩٠.

وقد اعتمد فيها على كتب الجرح والتعديل، وبخاصة كتاب الإمام الذهبي الموسوم: "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" ولم يكن قد طبع بعد، واعتمد على بعض نسخه الخطية في برلين وجوتا.[٢]

وقد عمل مدرسا للغة العربية وأمينا لمعهد اللغات الشرقية في برلين بدءً من عام ١٨٩٦ الى ربيع ١٩٠٠، ثم شغل بعدها كرسي اللغات الشرقية في جامعة ليبتسك، وقد استطاع أن يجعل من تلك الجامعة مركزا مرموقا للدراسات الشرقية، فأمها دارسو العربية وعلومها من

---

[١] - أنظر: المصدر السابق ٥٣ – ٥٤، المستشرقون والإسلام للطفي حداد، بحث منشور في مجلة الحوار المتمدن، العدد ١١٩٠، بتاريخ ٧ / ٥ / ٢٠٠٥.

[٢] - موسوعة المستشرقين: ٢٨٠.

سائر أنحاء ألمانيا.

وكان أول اتصال له بالعالم العربي رحلته الى المغرب عام ١٨٩٨.

وقد عني بدراسة تاريخ اللغة العربية من أقدم نصوصها وحتى لهجاتها المحلية المعاصرة، وحرص على تحليل لغة الشعر بوجه خاص.

ومن كتاباته حول النبي ﷺ بحث بعنوان: " محمد واحمد اسمان للنبي العربي " وقد نشر عام ١٩٣٢م.

٤- رودولف اشتروطمن:

وهو مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٧٧ في مدينة لنجريش غربي ألمانيا، وتعلم في جامعتي هلّه وبون، وكان من ابرز تلاميذ كارل بروكلمان، وتخصص في اللاهوت، وصار مدرسا في " مونستر " عام ١٩٠٥، وقسيسا ومرشدا للدراسات في "شولبفورتا" من عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩٢٣.

ودعي عام ١٩٢٣ ليكون أستاذا للدراسات الشرقية في جامعة جيسن، ثم في عام ١٩٢٧ عين أستاذا للدراسات الشرقية في همبورج، واستمر في عمله حتى تقاعده عام ١٩٤٧م.

وقد عني اشتروطمن بدراسة المذاهب الإسلامية المغمورة، والفرق الدينية المحدودة الانتشار، فعني بدراسة الزيدية، وصنف عدة كتب عن تلك الفرقة، ثم انكب بعد ذلك على دراسة سائر فرق الشيعة الأخرى.

وعند النظر في قائمة مؤلفاته نجد له بحثا بعنوان: " بدر – احد وكربلاء " وقد نشره في مجلة OLZ سنة ١٩٢٦م. [١]

٥- ريسكه:

ولد ريسكه في الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٧١٦، وتوفي سنة ١٧٧٤م، وكان أبوه دباغا وتوفي وهو صغير فأودع في ملجأ للأيتام في مدينة هلّه، وأتقن اليونانية واللاتينية وهو في المدارس الابتدائية والثانوية.

ويعَد هذا المستشرق واحداً من عباقرة علماء اللغة العربية في عصره، وأول مستشرق

---

[١] – موسوعة المستشرقين: ١٩.

ألماني جدير بالذكر، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكانة بارزة للدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، والغرب عموما.[1]

وريسكه هو أول من تمرد على النظرية الضيقة التي حكمت عقول المستشرقين وقررت أن وظيفة دراسات علم الاستعراب يقتصر على خدمة علم اللاهوت المسيحي.

ويعود الفضل لريسكه في تصحيح صورة الإسلام والنبي محمد ﷺ التي شوهها من سبقوه في الكتابة في ميدان الدراسات العربية والإسلامية، ففي مؤلفاته امتدح المستشرق ريسكه الدين الإسلامي الحنيف، ورفض وصف النبي محمد صلى الله عليه سلم بالكذب أو التضليل، وكان يرى أن ظهور النبي محمد ﷺ وانتصار دينه من الأحداث التاريخية التي لا يستطيع العقل الإنساني إدراك مداها، ويرى في ذلك برهانا على تدبير قوة إلهية قديرة كما ورفض تقسيم تاريخ البشرية إلى تاريخ مقدس وتاريخ غير مقدس، ووضع العالم العربي في قلب التاريخ العالمي.

لقد عاش هذا العالم المنصف في ظروف قاسية وعن تجربته المريرة وشغفه بالأدب العربي وفضله في تعريف الغرب به، وجحود أبناء قومه وعدم تقديرهم لهذا العمل الجليل.

٦- شبرنجر:

وهو مستشرق ألماني بارز، كرس نفسه للدراسات الآسيوية كما أعلن هو عن نفسه وزار الشرق، وأقام اثني عشر عاما في الهند.

قام بإعداد كتاب: " فهرست كتب الشيعة " للطوسي للطبع، كما قام بطبع كتاب " الإتقان في علوم القرآن " للإمام السيوطي في سلسلة المكتبة الهندية، وغيرهما.

ومن مصنفاته في السيرة النبوية:

" حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها الى الآن " ويقع في ثلاث مجلدات.[2]

٧- فايل "جوستاف":

وهو مستشرق ألماني، يهودي الديانة ولد في ابريل ١٨٠٨ في سالزبورج وهي مدينة

---

[1] - انظر ترجمته المفصلة في المصدر السابق: ٢٠٣ – ٢٠٩.

[2] - المستشرقون والتاريخ الإسلامي للدكتور علي حسني الخربوطلي: ١١٩

صغيرة في جنوب ألمانيا، ومات في برسيجاو.

أقام زمناً في باريس يأخذ العربية عن علماء المستشرقين، وانتقل إلى الجزائر ثم إلى مصر حيث اشتغل مدرّساً ومترجماً.

ولما عاد إلى بلاده عمل في مكتبة «هايدلبرج» ثم عين أستاذاً للتاريخ الشرقي في جامعتها سنة ١٨٣٧م.

نشر باللغة العربية «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين» للأنباري. وترجم إلى الألمانية عدة كتب ، منها: "السيرة النبوية " لابن هشام في مجلدين، و "أطواق الذهب " للزمخشري، و "ألف ليلة وليلة ".

وله باللغة الألمانية عدة كتب في تاريخ الشعوب الإسلامية، وفي تاريخ الخلفاء، ويعد كتابه الأخير هذا استمرارا لكتابه عن حياة النبي ﷺ، حيث بدأ المجلد الأول بالحديث عن وفاة النبي ﷺ.[١]

ويعد المستشرق فيل من الأسماء المشهورة التي كتبت عن سيرة النبي ﷺ، وتمثلت تلك الكتابات فيما يأتي: رسالة الى رينو عن واقعة تتعلق بالنبي ﷺ في بدء رسالته، ونشرت في المجلة الآسيوية، عدد مايو ١٨٤٣م. " النبي محمد: حياته ومذهبه " وقد نشره عام ١٨٤٣ م. وقد اعتمد فيل في هذا الكتاب على " السيرة النبوية " لابن هشام، و " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون " المشهور بالسيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، و" السيرة النبوية " لحسين الديار البكري.

ويعد كتاب فيل هذا من أوائل الكتب التي كتبها المستشرقون المحدثون عن سيرة النبي ﷺ ورسالته.

وقد زعم جوستاف فيل مع بعض المستشرقين " الى أن محمداً كان يعاني من داء الصرع، واستشهد بأنه ولد وبصره شاخص الى السماء، وإذا جاء المولود وبصره شاخص الى السماء، وهو عكس الوضع الطبيعي للمولود، تتعثر عملية الولادة وتطول وغالباً ما يحدث نزيف بسيط في عدة أماكن من الدماغ تؤدي في بعض الحالات الى حدوث الصرع في الشخص عندما

---

[١] – انظر: موسوعة المستشرقين: ٢٧١ – ٢٧٢، الموقع الالكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق: http://www.madinacenter.com

يكبر.

٨- كارل بروكلمان:

وهو مستشرق الماني بارز بل يعد شيخ المستشرقين المحدثين، ولد في السابع عشر من سبتمبر عام ١٨٦٨في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه.

ومن مؤلفاته المشهورة التي لاقت رواجا وانتشارا واسعا: كتاب" تاريخ الأدب العربي" الذي ترجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات، ووصفها، ومكان وجودها، ويعد كتابه هذا فتحا في بابه.[١]

وقد اهتم بروكلمان بدراسة التاريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور بعنوان "تاريخ الشعوب الإسلامية" وقد ترجمه الى اللغة العربية: منير البعلبكي، ونبيه أمين فارس، وكانت أولى طبعاته العربية عام ١٩٤٨م، ثم توالت الطبعات، ومن آخر تلك الطبعات التي وقفت عليها طبعة دار العلم للملايين عام ١٩٩٣م.

ويقع هذا الكتاب في تسعمائة صفحة، تحدث فيه بروكلمان عن تاريخ العرب قبل الإسلام حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وكرس فيه كل جهوده لدراسة أحوال المسلمين السياسية والحضارية طوال تلك الحقبة الزمنية، إلا انه مع هذا الجهد الكبير لم يخل من المآخذ العلمية عليه، وعدم توخي الصدق في أقواله وتحليلاته، ومن يطالع الكتاب يجد أن بروكلمان عند حديثه عن القرون الإسلامية المبكرة قد عمل كل ما في وسعه لتشويه الحقائق وتزييفها والافتراءات.[٢]

٩- نُولْدِكِه "تيودور":

---

١ - انظر ترجمته بالتفصيل في: الأعلام للزركلي ٢١١/٥، ٢١٢، المستشرقون الألمان تراجمهم، جمع صلاح الدين المنجد: ١٥٣ – ١٦٢، موسوعة المستشرقين: ٥٧ – ٦٥، الاستشراق الألماني للدكتور أحمد مُحَمَّد هويدي: ٣٤.

٢ - وممن رد على تلك المغالطات والافتراءات كل من عبدالكريم علي باز في كتابه " افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي " ومُحَمَّد سرور بن نايف زين العابدين في كتابه:" دراسات في السيرة النبوية " والدكتور غيثان جريس في كتابه " افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية " والدكتور لخضر شايب في كتابه " نبوة مُحَمَّد في الفكر الاستشراقي المعاصر "

وهو مستشرق ألماني، بل يعد شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، ولد في هاربورج بألمانيا عام ١٨٣٦، وتعلم في جامعات غوتنجن وفينّة وليدن وبرلين.

وانصرف إلى اللغات الساميّة، والتاريخ الإسلامي، فعُين أستاذاً لهما في جامعة غوتنجن سنة ١٨٦١، فجامعة كيل سنة ١٨٦٤ثم في جامعة ستراسبورج عام ١٨٧٢، وتوفي في كارلسروه Karlsruhe سنة ١٩٣٠.

له كتب بالألمانية عن العرب وتاريخهم، منها: «تاريخ القرآن» و «دراسات لشعر العرب القدماء» و «النحو العربي» و «خمس معلقات» ترجمها إلى الألمانية وشرحها. ونشر في مجلات الغرب وموسوعاته بحوثاً كثيرة، منها رسالة في «أمراء غسان» ترجمها إلى العربية قسطنطين زريق وآخر.

وله بالعربية: «منتخبات الأشعار العربية » واشترك في الإشراف على طبع «تاريخ الطبري» وترجمته إلى الألمانية.

ومن كتاباته في السيرة النبوية: «حياة النبي محمد» وقد كتبه باللغة الألمانية.[١]

وقد زعم أن الرسول "كانت تنتابه نوبات عنيفة من الانفعال جعلته يظن انه تحت تأثير إلهي، ويظن أنه يتلقى وحيا."[٢]

١٠ – جوزيف هورفتس

وهو مستشرق ألماني يهودي، ولد في لاونبرج، وتعلم في جامعة برلين، ثم عين مدرسا فيها عام ١٩٠٢م، وعمل مدرسا للغة العربية في الهند في الفترة ١٩٠٧ حتى ١٩١٤، وعاد الى ألمانيا وعين مدرسا للغات السامية في جامعة فرنكفورت من عام ١٩١٤وحتى وفاته عام ١٩٣١.

وكانت رسالته للدكتوراه عام ١٨٩٨عن كتاب " المغازي " للواقدي.

كما تولى تحقيق المجلدين اللذين يتحدثان عن غزوات النبي ﷺ من "الطبقات الكبرى" لابن سعد.[٣]

---

[١] – انظر الاستشراق الألماني: ٢٥، وانظر أيضا: الموقع الالكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث المستشرقين، محور طبقات المستشرقين.

[٢] – الاستشراق لمحمد عبد الله شرقاوي : ١٣٦.

[٣] – موسوعة المستشرقين: ٤٣٣.

وقد كان هورفتس من المستشرقين المتخصصين بمرويات الإخباريين والمؤرخين العرب والمسلمين، واعتمد على النصوص التي أوردها رواة السيرة والمغازي، حيث درس روايات المؤرخ الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" المستمدة من روايات الإخباري عروة بن الزبير المتعلقة بهجرة المسلمين إلى الحبشة، ومن ثم الهجرة إلى المدينة، وموقعة بدر الكبرى وغيرها.

وقد أوضح المستشرق "هورفتس" طريقة عروة بن الزبير في نقل النصوص – وان كانت مجردة عن الأسانيد – فيقول: " إن الإسناد في هذه المرحلة قد ظهر بصورته البسيطة، وهذا أمر طبيعي خاصة أن الراوي هو احد أبناء الصحابة فانه يروي عن أبيه بصورة مباشرة أو احد الصحابة المعاصرين للنبي، فان الطريق سوف لا يشمل سوى راوٍ واحد وعليه ان الإسناد يكون هنا بسيطاً" [١]

وقد ذكر الدكتور عبدالرحمن بدوي اهتمام هورفتس في فترة أستاذيته في جامعة فرنكفورت (١٩١٤ – ١٩٣١) بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، والسيرة النبوية، وبين أن من أهم كتاباته في هذا المجال: " مباحث قرآنية " وقد نشره عام ١٩٢٦م، ولكن لم يذكر لنا شيئا عن كتاباته في السيرة النبوية.[٢]

١١- يوليوس فلهاوزن:

وهو مستشرق ألماني، يعد من أبرز المستشرقين الذين كتبوا في التاريخ الإسلامي، ولد عام ١٨٤٤م، ومن أبرز أعماله ترجمة كتاب " المغازي " للواقدي الى اللغة الألمانية عام ١٨٨٢ م، وصنف كتاب "آثار من الجاهلية العربية" و "المدينة قبل الإسلام". ومن كتاباته عن سيرة النبي ﷺ: " تنظيم محمد للجماعة في المدينة " و " كتب محمد والسفارات التي وجهت إليه "[٣].

المبحث الثاني

المنصفون والمجحفون المتعصبون من المستشرقين الألمان

---

١ – المرويات التاريخية الأولى عن المستشرق هورفتس – حسن الحكيم الموقع الالكتروني Alefyaa.com

٢ – موسوعة المستشرقين: ٤٣٣.

٣ – انظر: المستشرقون والتاريخ الإسلامي للدكتور علي حسني الخربوطلي: ١٠٦، الاستشراق الألماني: ٢٦.

وبعد هذا العرض لنخبة من المستشرقين الألمان الذين كتبوا عن سيرة النبي ﷺ يمكن أن نقسم هؤلاء المستشرقين إلى قسمين:

القسم الأول: المستشرقون المنصفون:

لا ينكر منصف أن مسيرة الاستشراق في ألمانيا قد عرفت من بين المنخرطين فيها، مَن أبت عليه عقليته العلمية أن ينقاد بفكره لنزعات تنصيرية أو أحقاد شخصية أو تاريخية، فتراه يحاول أن يكون موضوعياً صادقاً، يجهر بما يصل إليه من حقائق دون أن يعير أي اعتبار لمؤثرات خارجية، وهذا الصنف من المستشرقين اكتفوا بالوصف الموضوعي لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما وقفوا عليه من مصنفات في هذا الميدان، ولهم من وراء ذلك أهداف علمية خالصة لا يُقصَد منها إلا البحث العلمي، والتمحيص، وحب الإطلاع وتقديم الحقائق كما هي دون تغيير أو تحريف أو تبديل.

وهذا النفر من المستشرقين كثيرا ما يتهمهم غيرهم من المستشرقين بالانحراف العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة العرب والمسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع المستشرقة ماري شيمل عندما رُشّحت لاستلام جائزة الصلح للنّاشرين الألمان عام ١٩٩٥م بدأت بعض الدوائر الصهيونية المناوئة للعروبة والإسلام في ألمانيا بانتقاد موقفها من سلمان رُشدي، الكاتب الذي أهان الإسلام والرسول الأكْرَم ﷺ، في كتابه " آيات شيطانية "

وقد صرحت شيمل حينها:

" بنظري أنَّ الكاتب الذي يتجاسرُ على النبي، وسلمان رشدي يعرف جيدًا ما هو الشأن المقدس للنبي عند المسلمين، فإنَّه قطعا قد أهان وتجاسر على مقدسات الإسلام ...وإنّني سأنتقد هذا الموقف حتى الموت " الموت" [١]

ومن المنصفين في كتاباتهم أيضا: المستشرق الألماني رايَسْكِه ذلك الرجل الذي كان ثمن تفانيه في دراسة الأدب والتاريخ العربيين أن تعرض لاضطهاد فكري وعلمي من المتعصبين الذين ليست لدراستهم قيمة علمية.

ولا بد ان نسجل ها هنا ان المستشرقين الألمان أحسن حالا من غيرهم لأنهم في الغالب

---

[١] – انظر: موقف المستشرقين من السنة للدكتور مُحَمَّد علي مكي: محاضرات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، المنعقد بالجزائر في سنة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م، ص: ١٩ ، صادق العبادي، مجلة الفيصل، العدد ٣٢٢، ١٤٢٤ هـ، ص١١٦.

لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية واستعمارية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار.

وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية، والموضوعية والتجرد والإنصاف، ومرد ذلك إلى خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم.

القسم الثاني: المستشرقون المتعصبون المجحفون عن قصد:

ومن هذا القسم فئة من المستشرقين أساءت الى النبي ﷺ، وسجلت في كتاباتها افتراءات على الإسلام، ونبيه عليه الصلاة والسلام، عن قصد وعمد بغية تشويه الحقائق، والإساءة، وتنفير الغربيين من الإسلام.

ومن الملاحظ أن بعض هؤلاء المستشرقين الذين اتصفوا بالجحود والإجحاف كانوا على قدر كبير من الدهاء والمكر، فقد بذلوا جهودا علمية كبيرة، وتعمقوا في الدراسات العربية والإسلامية، وقدموا إنتاجا علميا قيما، حتى يغروا المسلمين بقراءته أو الاستفادة منه، ودسوا إساءاتهم وافتراءتهم على النبي ﷺ في سطور قليلة متناثرة بين صفحات الكتاب الكثيرة، فكانوا كمن يضع " السم في العسل " فأصبحت كتبهم كوبا من العسل الرائق اللون الحلو المذاق، وفيه قطرات قليلة من السم كافية للقضاء على الحياة.

وهذا النوع من المستشرقين لا يسوقون الافتراءات جزافا، فهم يعمدون الى تقليب صفحات المصادر ليجدوا ثغرات ينفذون منها الى أغراضهم الخبيثة، وقد يجدون بغيتهم في رواية موضوعة أو ضعيفة واهية، .

ومن هؤلاء المستشرقين:

المستشرق كارل بروكلمان الذي ذكر بعض المغالطات والافتراءات حول السيرة النبوية في كتابه " تاريخ الشعوب الإسلامية " الذي قام بترجمته الى العربية منير البعلبكي ونبيه أمين فارس.

والمستشرق يوليوس فلهاوزن، حيث يقول في إحدى أكاذيبه وافتراءاته:

" لم يبق الإسلام على تسامحه بعد بدر، بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب داخل المدينة، وكانت آثار مشكلة المنافقين علامة على ذلك التحول... أما اليهود فقد حاول محمد إظهارهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد، وفي غضون سنوات قليلة أخرج كل الجماعات أو قضى عليها في الواحات المحيطة بالمدينة حيث كانوا جماعات متماسكة كالقبائل العربية،

وقد التمس لذلك أسبابا واهية "[1]

وهناك فئة أخرى من المستشرقين وقعوا في الخطأ والزلل، وأساءوا الى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحاول البعض تبرير خطئهم بأنه من غير قصد ولا عمد.

ومن هؤلاء المستشرقين شبرنجر الذي صنف كتاب كبيرا بعنوان: "حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها الى الآن".

وقد تحدث المستشرق الألماني المعاصر باريت عن جهود شبرنجر في ميدان الدراسات الإسلامية، وعبر عن حيرته وتعجبه من كتابه عن محمد فقال:

" وكان المتوقع أن يتمكن شبرنجر بما يديه من مصادر كثيرة من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالا للنقد أو الأخذ، ولكن السيرة التي ألفها خيبت الظنون في أكثر من ناحية، ولم ترع شروط ومتطلبات التقرير العلمي، فقد ضلله اتجاهه الى النظر الى الإسلام باعتباره وليد روح عصره، وحمله على التقليل من شان شخصية النبي، ومن أهمية جهوده التاريخية " [2]

ومن مغالطاته في السيرة النبوية أن اسم " محمد " لم يكن اسم علم للرسول ﷺ قبل الهجرة الى المدينة، وقد استنتج ذلك على حد زعمه من أن اسم النبي قد ورد في أربع سور قرآنية هي آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وكلها سور مدنية ومن ثم فإن لفظة محمد لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة، وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى.[3]

ويمكن أن نلخص منهج هؤلاء المستشرقين في كتابة السيرة النبوية، في النقاط الآتية:

١- الانتقائية في اختيار المصادر ونقل الروايات عنها، فلا يعتمدون منها إلا على ما يساير أهدافهم.

٢- التحيز السافر الذي ينم عن روح العداء والحقد المتأصل على الإسلام.

٣- تضخيم بعض الحوادث والمبالغة فيها، والتقليل من حوادث أخرى.

٤- إطلاق الأحكام الخطرة في حق النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه وفي حق الإسلام وشريعته وتاريخه وحضارته دون أي دليل.

٥- الإسراف في استخدام المنهج المادي ومعاييره في بحث حياة النبي ﷺ والأحداث

---

[1] - تاريخ الدولة العربية ليوليوس فلهاوزن: ١٥ – ١٦.

[2] - المستشرقون والتاريخ الاسلامي: ١٢٠.

[3] - أنظر: تاريخ العرب في الإسلام لجواد علي: ١ / ٧٨، المستشرقون والسيرة النبوية للدكتور عماد الدين خليل:٢٥٨

المتعلقة بها.

٦- تأويل الأحداث والوقائع وتحليلها بطريقة غير موضوعية.

٧- الاعتماد في جمع المعلومات على مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الصحيحة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات الصحيحة الثابتة.

٨- المبالغة في الشك، والافتراض، والنفي الكيفي، واعتماد الضعيف الشاذ

٩- إسقاط الرؤية الوضعيّة، العلمانيّة، والتأثيرات البيئيّة المعاصرة على الوقائع التاريخيّة.

١٠- ردّ معطيات السيرة النبويّة إلى أصول نصرانيّة أو يهوديّة.

١١- التستر بالموضوعية من خلال التظاهر بالموضوعية في الكتابة، والتطوع بذكر بعض الجوانب الإيجابية المتعلقة بالإسلام وحضارته، مما قد يعطي انطباعاً لدى القارئ بأن الباحث موضوعي ملتزم بالخضوع لما يفرضه المنهج العلمي الصحيح، لكن النظر الثاقب والقراءة المتفحصة لدراسات هؤلاء، تكشف عن كثير من الأوهام والأباطيل.

١٢- مجافاة المنهج العلمي، وذلك بإهمال المبادئ الأولية لهذا المنهج، والانطلاق من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام، مثل بشرية القرآن، وعدم صدق النبي صلى الله عليه و سلم في نبوته.

١٣- التمويه والتلبيس في البحث، وذلك بالخلط بين الحق والباطل، وزرع الشكوك بدعوى الالتزام بالمنهج التاريخي الاجتماعي، والاستدلال بالأدلة على غير ما تدل عليه، وتحليل أحداث التاريخ الإسلامي تحليلاً مراوغاً، يخدم الأغراض والأهداف المرسومة للدراسات الاستشراقية.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد وفقت للصواب فيما عرضته، مقرا بأن ما دونته في هذه الدراسة عن جهود المستشرقين الألمان في التصنيف في السيرة النبوية يعد غيضا من فيض، وذرة من عقد، ولكن – كما قيل – ما لا يدرك كله لا يترك جله.

قائمة المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢-الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية للدكتور احمد محمد هويدي

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م

٣– الإسلاميات بين المستشرقين والباحثين المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، ، بحث منشور ضمن أعمال الندوة العلمية عن الإسلام والمسشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، طبع عالم المعرفة – جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

٤– افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، للدكتور غيثان علي جريس، إصدار نادي أبها الأدبي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٥– تاريخ الدولة العربية وسقوطها، فلهاوزن يوليوس، ترجمة محمد عبدالهادي أبي ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٨ م

٦– تاريخ الشعوب الإسلامية، لكار بروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشرة ١٩٩٣م.

٧– تاريخ العرب في الإسلام، لجواد علي، مطبعة الزعيم، ١٩٦١م.

٨– المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثانية بيروت:، ١٩٨٢م.

٩– المستشرقون والإسلام للطفي حداد، بحث منشور في مجلة الحوار المتمدن، العدد ١١٩٠، بتاريخ ٧ / ٥ / ٢٠٠٥.

١٠– المستشرقون والتاريخ الإسلامي للدكتور علي حسني الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

١١– المستشرقون والسيرة النبوية للدكتور عماد الدين خليل، بحث منشور ضمن أعمال الندوة العلمية عن الإسلام والمسشرقين التي عقدت بمجمع دار المصنفين في الهند، طبع عالم المعرفة – جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م

١٢– مع المخطوطات العربية مع المخطوطات العربية – للمستشرق كراتشوفسكي عالم الكتب بيروت ١٩٩٩

١٣– موسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٤م.

١٤– موقف المستشرقين من السنة، لسعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة

الأولى الكويت، ١٩٩٤ م.
١٥- نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر للدكتور لخضر شايب، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
المجلات والمواقع الالكترونية:
- جريدة عكاظ السعودية، العدد ١٠٩٦١، ربيع الآخر ١٤١٧، (١٦أغسطس ١٩٩٦م)
- مجلة البريد الإسلامي، العدد الصادر في ١٩٦٣/٦/٢٥.
- مجلة الفيصل السعودية، العدد ٣٢٢، عام ١٤٢٤ هـ.
الموقع الالكتروني لمركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق:

http://www.madinacenter.com

-الموقع الالكتروني: www.Alefyaa.com